

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة  
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة العربية والآداب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: 1435080345

رقم التسجيل: ط2: 125090128

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان

دلالة المكان في رواية "الفيل الأزرق"

لأحمد مراد

إعداد الطالبين:

✓ بدر الدين محروق

✓ محمد باهي

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	محمد بوضياف-المسيلة	أستاذ مساعد "ب"	د. لخضر هني
مشرفا ومقررا	محمد بوضياف-المسيلة	أستاذ	أ.د. جمال جناح
مناقشا	محمد بوضياف-المسيلة	أستاذ مساعد "ب"	د. سعاد عريوة

السنة الجامعية: 1439-1440هـ / 2018-2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل:

إلى من كانا سببا في وجودي (الوالدين الكريمين)

إلى جميع أفراد أسرتي (وأخص بالذكر أختي)

إلى الأستاذ المشرف الدكتور (جمال مجناح)

إلى الأستاذ ( خليل زياني)

إلى جميع الزملاء و الأصدقاء

# إهداء

إلى روح الوالد رحمه الله

إلى الوالدة الكريمة

إلى سائر أفراد الأسرة

إلى الأستاذ المشرف

إلى الزملاء

# شكر و عرفان

ونحن نضع لمساتنا الأخيرة لهذا العمل لئيسعنا إلا أن نحمد الله كثيرا  
على توفيقه لأنه يسر لنا المبتغى و أعاننا على إكمال هذا العمل و هون  
علينا المتاعب التي صادفناها فالحمد لله أولا و أخيرا.

كامل نتقدم بجزيل الشكر إلى من ساهم في إخراج هذا العمل و نذكر:  
الأستاذ المشرف الدكتور جمال مجناح لإشرافه على هذه الرسالة و الذي  
لم يبخل علينا بالدعم و التوجيه .

كما نشكر الأستاذ خليل زياني الذي ساعدنا بدوره

دون أن ننسى أعضاء اللجنة المناقشة.

# مقدمة

يشكل المكان محورا متعامدا مع الزمان ترتبط في ظلّه حياة الإنسان، فهو ليس مجرد خلفية تدور فيها أحداث الرواية، بل إنه فاعل في أحداث الرواية وعناصرها، حيث يساهم في تشغيل دلالة العمل الروائي بحيث يرسم البيئة الاجتماعية التي تعبر عن شخصياتها من العالم. إذ يحتل أهمية خاصة في تشكيل العالم الروائي ورسم أبعاده، ذلك أن المكان مرآة تنعكس على سطحها صورة الشخصيات، وتتكشف من خلال بعدها النفسي والاجتماعي والثقافي كما أنه ركن من أركان العمل السردى؛ ونقصد بذلك القصة والرواية، إلى جانب الأركان الأخرى وهي: الحدث والزمن والحبكة والصراع، دون أن ننسى الشخصيات. وكل هذه العناصر تتضافر للمضي قدما في القص، وعليه فلا يمكن أن نتصور -بأي حال من الأحوال- أن تجري أحداث دون أمكنة كما أن الشخصيات تتحرك في إطار معين يشمل أصنافا عديدة من المكان وفق الغاية التي يريدها القاص أو الراوي.

وانطلاقا من ذلك جاءت هذه الدراسة كبحث في مفهوم المكان ودلالاته المختلفة في الرواية فهو الإطار الذي تتحرك فيه أحداثها، ويرصد فيه شخصياته، لذلك فإن المكان اكتسب مشروعية بوصفه عنصرا فنيا جماليا من عناصر البناء الروائي المختلفة وهذا ما جسده رواية "الفيل الأزرق" لأحمد مراد.

ولعل من الدوافع التي شجعتنا على اختيار هذا النص موضوعا للدراسة، ما يلي:

- أنه نص سردي يعتمد على المكان بشكل واضح وجلي.
- أن هذه الرواية لم يتم التطرق لدراستها من قبل
- محاولة إبراز الدلالات المختلفة للمكان داخل الرواية
- محاولة فهم العلاقات الموجودة بين المكان وسائر مكونات السرد
- كونها رواية تجمع بين الغموض والإثارة معا

من خلال ما سبق، جاز لنا طرح بعض الإشكاليات التي نثيرها الدراسة ويمكن حصرها في التساؤلات التالية:

- هل هناك وعي بحضور المكان، ودلالاته لدى الروائي؟
- وهل المكان لديه مجرد، أم ذو حمولات نفسية واجتماعية وتاريخية؟
- هل للمكان أهمية بارزة، وماهي أقسامه؟
- ماهي علاقة المكان بمكونات السرد المختلفة؟

ولتحقيق ذلك حاولنا الإجابة على بعض الأسئلة ومن بينها: ما هو المكان؟ وهل يختلف مفهومه باختلاف الدارسين؟ وماهي أهميته؟ وهل يحمل دلالات معينة؟ وهل وفق أحمد مراد في اختياره للمكان؟

وهذه التساؤلات شجعتنا على افتراض إجابات مبدئية تمثلت في كون قسم "8 غرب" يعبر بشكل أو بآخر عن شيء ما، بمعنى أنه لا يمكن أن نتصور كل تلك الهالة من الغموض والكوابيس التي تطبع الرواية، وتغلف فضاءها، كما أنها تؤرق البطل - ومن ورائه القارئ-دون أن تكون هناك حمولات من نوع ما، قد تكون نفسية، كما قد تكون اجتماعية، وربما تاريخية أيضا، ولم لا فقد تجمع تلك الحمولات كلها، خصوصا وأن القلق حاضر بقوة في الرواية، وكذلك الخوف والتشاؤم .

وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة وجاء الفصل الأول بعنوان: المكان وأهميته في النص الروائي، مقسما إلى عنوانين كما يلي:

1/ المكان مفهومه أهميته دلالاته: تم التطرق إلى مفهوم المكان لدى النقاد ثم أهميته وأخيرا دلالاته.

أولاً: مفهوم المكان: تعرضنا فيه لهذا المفهوم لدى بعض النقاد مثل غاستون باشلار، يوري لوتمان، ابن منظور، ابن سيده، ابن بري، الجرجاني

ثانياً: أهمية المكان: تطرقنا فيه إلى الأهمية التي يتميز بها المكان في العمل الأدبي والفني إلى جانب وظيفته الجمالية والدلالية كما وقفنا عند أقسامه لدى مول ورومير حيث

قسماه إلى أماكن عمومية ومكان لامنتاهي وعند غالب هلسا الذي قسمه إلى مكان مجازي، مكان هندسي، مكان كتجربة معاشة، ومكان عادي.

**ثالثا:** دلالات المكان: في هذا العنصر قمنا بدراسة الدلالات النفسية والاجتماعية والتاريخية للمكان، ونعني بالدلالات النفسية تلك الآثار العميقة التي تنتج عن علاقة المكان بالشخصية، فمن الشخصيات من تحب مكانا وتبغض مكانا آخر، أما الدلالات الاجتماعية فتتمثل في تعلق الجماعة بمكان معين - نظرا لما يحمله من خصوصيات-، وفيما يتعلق بالدلالات التاريخية، فإن بعض الأماكن تحمل بعدا تاريخيا، انطلاقا من تسجيله لبطولة شخصية تاريخية أو حدث ما .

2/ المكان في النص الروائي: في هذا العنصر يتم الحديث عن علاقة المكان بمكونات العمل الروائي الأخرى، أي بمعرفة العلاقة بينه وبين كل من "الزمان" و"الشخصيات" و"الحدث"، على اعتبار أن كلا منها له أهميته ودوره في النص الروائي، من هنا جاء مقسما إلى ما يلي:

**أولا:** علاقة المكان بالشخصيات: حيث إن الشخصيات تتحرك في رقعة جغرافية معينة سواء كانت ريفا أو مدينة أو منزلا أو بجوار البحر فالمكان ملازم للشخصية مثله مثل الزمان.

**ثانيا:** علاقة المكان بالحدث: باعتبار أن أي حدث ما لا بد أن يرتبط بمكان مخصص فهناك أحداث تجري في المدن وأخرى في القرى وبعضها في وسيلة نقل وغير ذلك.

**ثالثا:** علاقة المكان بالزمان: حيث نجد أغلب الدراسات النقدية والفلسفية لا تكاد تفرق بين الزمان والمكان، وجعلهما متلازمين وذلك انطلاقا من أي حدث ما لا يمكن أن يقع خارج حدود هذين المكونين لدرجة أنه تم الجمع بينهما في لفظة "الزمان" أو ما يعرف بالفضاء.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان "جمالية المكان في رواية الفيل الأزرق" وقد تم تقسيمه إلى  
عنوانين:

أولاً: الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة: تطرقنا فيه إلى أنواع الأماكن المختلفة من بينها:  
الأماكن المغلقة وتشمل أماكن مغلقة عامة، أماكن مغلقة خاصة، والأماكن المفتوحة التي  
تشمل أماكن مفتوحة عامة، أماكن مفتوحة خاصة.

ثانياً: البعد النفسي للمكان في رواية الفيل الأزرق: بدأ بتمهيد بسيط ثم تناولنا فيه المكان  
وتأثيره في البعد النفسي واخترنا كل من التشاؤم، الخوف، الحزن، الصراع النفسي الداخلي  
وبعد ذلك طبقنا كل منهما على النص الروائي الذي بين أيدينا.

وقد استعنا في ذلك بالمنهج الوصفي، حيث أنه يركز على الجانب النظري كونه يخدم  
المقصود من البحث؛ من حيث الدلالات التي يحملها المكان في العمل الروائي عامة،  
وفي رواية "الفيل الأزرق" خاصة، كما استعنا بالمنهج التحليلي، الذي يركز على الجانب  
التطبيقي الذي ساعدنا على تحليل علاقة المكان بالمكونات الأخرى (الشخصيات-  
الأحداث-الزمن) وكذلك المكان وتأثيره على البعد النفسي.

و قد اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، أهمها:

- 1- أحمد مراد: الفيل الأزرق.
- 2- ابن منظور: لسان العرب.
- 3- يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني (المكان والدلالة)، ترجمة سيزا قاسم.
- 4- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا.
- 5- سيزا قاسم: مقدمة مشكلة المكان الفني.
- 6- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.
- 7- الجابري: محمد عابد، بنية العقل العربي.

أما من حيث الصعوبات، فلم تواجهنا صعوبات كثيرة في البحث، نظرا لتوفر المراجع في هذا المجال، بالإضافة إلى المساعدة التي تلقيناها من طرف الأستاذ المشرف الذي أمدنا بالعديد من التوجيهات والنصائح.

# الفصل الأول:

## المكان وأهميته في النص الروائي

أولاً: المكان، مفهومه، أهميته، ودلالاته.

ثانياً: المكان في النص الروائي

1- علاقة المكان بالشخصيات

2- علاقة المكان بالحدث

3- علاقة المكان بالزمن

أولاً: مفهوم المكان

1-1 المكان لغة:

أورد ابن منصور لغة "مكان تحت الجذر لكون من الكون (الحدث). وأعاد الحديث عنه تحت الجذر (مكن) فقال والمكان موضع، والجمع أمكنة، كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالان لأن العرب تقول كن مكانك وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر مكان أو موضع منه"<sup>1</sup>.

ويذهب ابن سيده إلى أن المكان "جمع أمكنة، فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية"<sup>2</sup>، والمكان "اشتقاقه من كان يكون ولكنه كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية"<sup>3</sup>.

ويذهب ابن بري إلى أن "مكين فعيل، ومكان فعّال، ومكانة فعالة ليس شيء منها من الكون فهذا اسمو وأمكنة أفعله، وما تمكن فهو تفعل كمتدع فهو مشتق من المدرعة بزيادة فعلى قياسه يجب في تمكن تمكون لأنه تفعل على اشتقاقه تمكن وزنه تفعل"<sup>4</sup>.

والمكان "الموضع والمكانة يقال فلان يعمل على مكينة أي على اتقاده والمكانة المنزلة عند الملك والجمع مكانات ولا يجمع جمع التكسير، وقد مكن مكانته فهو مكين"<sup>5</sup>، ووردت كلمة مكان عند اللغويين بمعان متقاربة، تكاد تتفق على أن المكان هو "الموضع والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - ابن منصور، لسان العرب، مج6، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص83.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>4</sup> - الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، باب النون تح: علي بشيري، دار الفكر للطباعة و النشر، د.ط، 1994، ص488.

<sup>5</sup> - ابن منصور، لسان العرب، ص82.

<sup>6</sup> - الزبيدي، تاج العروس، ص34.

وفي القرآن الكريم يرتبط فعل الكون بالخلق والوجود، ونجد هذا واضحا في قوله تعالى: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"<sup>1</sup> وقد وردت كلمة (مكان) في القرآن الكريم بسياقات عديدة منها مكان البيت، ومكان قريب فقد جاء في قوله تعالى: "وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ"<sup>2</sup>.

وقد جاءت هذه اللفظة مجازا بمعنى المنزلة<sup>3</sup> في عدة آيات من القرآن الكريم قوله تعالى "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا"<sup>4</sup> ويبقى تحديد مصطلح المكان لغويا متباينا في الكثير من التفسيرات التي قد يتوافق بعضها مع الآخر ويتناقض البعض الآخر مع غيره وهذا لاتساع دلالاته اللغوية وعدم محدوديته.

## 1-2: المكان اصطلاحا:

كلمة مكان لها الكثير من الدلالات، وقد اقتحمت العديد من الميادين المعرفية فقد وجدت هذه اللفظة صداها في مختلف الميادين العلمية والأدبية وقد حظي المكان باهتمام الفلاسفة، والنقاد قديما وحديثا، فقدموا تعريفات عديدة له، فقد أورد الجرجاني تعريفين هما: "المكان المبهم والمكان المعين"<sup>5</sup>، والمكان المبهم عنده "عبارة عن مكان له اسم نسميه به بسبب أمر غير داخل في مسماه كالخلق... والمكان المعين هو عبارة عن مكان له اسم سمي به بسبب أمر داخل في مسماه كالدار، فإن تسميته بسبب الحائط والسقف وغيرهما

<sup>1</sup> - سورة (يس)، الآية (82).

<sup>2</sup> - سورة (ق)، الآية (41).

<sup>3</sup> - ينظر، مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة، ط2 1989، ص544.

<sup>4</sup> - سورة (مريم)، الآية (56).

<sup>5</sup> - ينظر، الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1998، ص292\_293.

وكلها داخلة في مسماه"<sup>1</sup> وقد وجد الجرجاني أن المتكلمين عرّفوا المكان بأنه "الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده"<sup>2</sup> حيث بحث في مفهومه للمكان ودلالاته، وقسم المكان إلى عدة تقسيمات.

وجود الإنسان وتموضعه في المكان يشكل "مكان لعبوره أيضا وهو مكان للوعي، يختزل عبر الوعي بالأمكنة كلها ابتداء من الأمكنة الصغرى والكبرى المألوفة وانتهاء بالمكان المطلق (الكون)"<sup>3</sup>، لأن الإنسان يرتبط بالمكان، ووجوده في المكان يحتوي المكان بوعيه وإدراكه إياه بفكره وعواطفه ونفسه، فقد بات واضحا أن المكان يرتبط جذريا بفعل الكينونة للعيش والوجود، وفهم الحقائق وصياغة المشروع الإنساني<sup>4</sup>، والإنسان "يحول معطيات الواقع المحسوس وينظمها، لا من خلال توظيفها المادي... بل من خلال إعطائها دلالة وقيمة وتكتسب عناصر العالم المحسوس ودلالاتها"<sup>5</sup>.

ومن هنا لا بد من الإشارة إلى اهتمام الفلاسفة بمصطلح المكان ابتداء من أفلاطون حيث يعتبر أن "المكان حاويا وقابلا للشيء"<sup>6</sup>، ثم توسع فيه أرسطو حيث قال "إن المكان هو هو السطح الباطن المماس للجسم الحوي، وهو على نوعين: خاص لكل جسم مكان يشغله ومشارك فيه جسمان أو أكثر"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر، الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1998، ص292.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - صلاح صلاح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997، ص15.

<sup>4</sup> - ينظر، ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، ط1، 1986، ص64.

<sup>5</sup> - مجموعة مؤلفين، جماليات المكان، تر: سيزا قاسم وآخرون، لدار البيضاء ودار قرطبة، لبنان، ط1، 198، ص64.

<sup>6</sup> - حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص18.

<sup>7</sup> - محمد علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ص228.

وقد أضاف أرسطو طابعا حسيا ملموسا للمكان لأن المكان مرتبط في الواقع بالوجود الإنساني.

أما في الدراسات الحديثة فيعرفه يوري لوتمان (Youri Lotman) بأنه "مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة... تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة والعادية مثل الاتصال والمسافة"<sup>1</sup>، فقد نقل لوتمان المكان من المستوى

الفلسفي إلى المستوى السيولوجي، وأكد على أهميته تحت نظام العلاقات القائمة بين الأشياء التي تخضع لتغيرات مختلفة في الأشكال و" إن نماذج العالم الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية العامة التي ساعدت الإنسان على مراحل تاريخية على إضفاء معنى الحياة التي تحيط به نقول إن هذه النماذج تنطوي دوما تحت سيمات مكانية"<sup>2</sup>، فمرجعية الإنسان الأولى تعلقت بالمكان ليبنى منظومته، كما أن المكان هو الركيزة الأساسية التي يتعامل بها الإنسان مع الوسط الذي يعايشه، وينتمي إليه.

فالمكان في نظر يوري لوتمان حقيقة معيشة تؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي ويحمل المكان قيما تنتج من التنظيم المعماري كما تنتج من التنظيم الاجتماعي فيفرض كل مكان سلوكا خاصا على الناس الذين يلحون اليه، والطريقة التي يدرك بها المكان تضي عليه دلالات خاصة"<sup>3</sup> فكل مكان حسب لوتمان يفرض طقوسه وخصوصيته على الفرد الذي يوجد فيه، فهو ملزم وخاضع لتلك القواعد التي

<sup>1</sup> - يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني (المكان والدلالة)، تر: سيزا قاسم مجلة ألف، العدد 6، 1986، ص 89.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 89.

<sup>3</sup> - سيزا قاسم، المرجع السابق، ص 83.

تحكمه وتفرض كينونتها على الإنسان، فتختلف دلالة المكان من دلالة جغرافية إلى دلالة فلسفية وحتى هندسية حسب تموضع الأمكنة.

هذا، واهتم غاستون باشلار (Bachelard Gaston) بمفهوم المكان وعلاقته بالإنسان، حيث أنجز مجموعة من الدراسات من أهمها كتاب (شعرية المكان) وترجمه غالب هلسا تحت (جماليات المكان)، وقد تناول فيه باشلار الجانب الجمالي للأمكنة كما أوضح هلسا أن النقطة الأساسية التي ينطلق منها المؤلف هي أن البيت القديم بيت الطفولة هو مكان الألفة ومركز تكييف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذكره ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية، ذلك الإحساس بالجمالية والأمن اللذين كانا يوفرهما لنا البيت القديم<sup>1</sup>.

وتظل خصوصية المكان القديم بيت الطفولة، ذات تأثير كبير على ذاكرة الإنسان مهما ابتعد عنه جسدياً إلا أنه يظل قابعا ومحفورا في ذاكرته، كما يرى باشلار أن المكان الذي ينبج نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذو أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز<sup>2</sup>، فهنا يؤكد باشلار أنه لا يوجد موضوع دون ذات، بل الخيال بالنسبة للمكان يلغي تلك الموضوعية، فهو يجلب للذات موضوعها الخاص المستقل عن الواقع لأن "الإحساس بالمتناهي في الكبر يوجد داخلنا ولا يرتبط بالضرورة بشيء"<sup>3</sup>، وهنا يظهر الوعي الإنساني في تحويل الأمكنة سواء ربطه بالأشياء وبالخيال أو بالإحساس، وقد ساهم باشلار في بناء تصور جمالي للمكان.

<sup>1</sup> - غاستون باشلار، جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص30.

<sup>2</sup> - ينظر، غاستون باشلار، المرجع نفسه، ص31.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص33.

2 - أهمية المكان

يمثل المكان في الرواية عنصرا مهما من عناصر السرد الروائي، لأن المكان في كل أبعاده الواقعية والمتخيلة يرتبط ارتباطا وثيقا بالنص وبكل ما يحتويه من شخصيات وأزمنة وحوادث، وبما أن المكان عنصر يتميز بخصوصيته بوظائفه المتعددة التي تتحكم في تكوين إطار الحدث، كما أنها تساعد القارئ على تخيل وتصور الأمكنة التي يعرضها الروائي سوار كانت أمكنة مغلقة أم مفتوحة أو أمكنة ذات أبعاد سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو فلسفية.

للمكان دور هام في تفعيل العمل الأدبي والفني "فهو مسرح الأحداث والهواجس التي تصنعها الذاكرة التاريخية"<sup>1</sup>، فمن خلال المكان وما يحدث فيه يمكن قراءة وفهم كل حدث وتفاعلات الشخصيات وحركيهم مع المكان.

فوظيفة المكان هي وظيفة جمالية دلالية ذات بعد زمني في صنع الإبداع الفني.

إن المكان "ليس عنصرا زائدا في الرواية فهو يتخذ أشكالا يتضمن معاني عديدة بل أنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله"<sup>2</sup>.

إن يمكننا القول بأن المكان هو نقطة انطلاق الكاتب وهو المكون الأساسي لبنية النص ككل وبهذا يصبح المكان عنصرا فاعلا في الرواية وفي تطورها وبناءها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه وفي علاقات بعضها ببعضها الآخر.

فهو البنية الأساسية لتشكيل الحدث الروائي والحدث "لا يقدم سوى مصحوبا بجميع أحداثياته الزمانية والمكانية، ومن دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السرد أي يؤدي

<sup>1</sup> - أحمد طالب، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، ص50.

<sup>2</sup> - حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، ص33.

رسالته الحكائية"<sup>1</sup>، وكل هذا ضروري من أجل نمو وتطور السرد لأنه بحاجة إلى عناصر زمانية ومكانية.

المكان وحدة أساسية من وحدات العمل الأدبي الإبداع الفني "في نظرية الأدب أعدت إحدى الوحدات التقليدية الثلاث، ولطالما كانت مثار جدل في تحقيق العمل الأدبي والفني في المسرح بالدرجة الأولى، ولم يتجاوزها منظرو الأدب في العصر الحديث، بل صارت إلى ركيزة من ركائز الرؤية وجماليتها في النظرية الأدبية الحديثة"<sup>2</sup> فأصبح المكان بمثابة العمود الفقري الذي تبنى على أساسه الأجناس الأدبية من قصة وشعر ورواية، ومن دون المكان يفقد العمل الأدبي تلك الخصوصية والأصالة فيختل دونه العمل الأدبي، وطبعاً فيعني هذا الأخير جنس الرواية التي نحن بصدد ربط المكان بها التي لا تخلو من الخيال لأن "المكان الذي يأسر الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مبالياً خاضعاً لأبعاد هندسية وحسب، بل هو مكان عاش فيه الناس ليس بطريقة موضوعية، وإنما ما للخيال من تحيزات"<sup>3</sup>، فسيلاً قاسم يلفتنا إلى الدور الهام الذي يلعبه عنصر الخيال الذي يفتح فكر المبدع وحتى القارئ لتخيل الأمكنة والإيهام بها كأنها حقيقية، فالخيال هو الذي ينقلنا إلى تلك الأمكنة المتنوعة العوالم بواسطة اللغة التي يعتمدها الكاتب المبدع في وصف أحيائه أو فضاءاته، فهو أوسع من أن يكون مكاناً هندسياً تحكمه لغة القياس والأحجام، بل هو مكان يخضع لرؤية خاصة تتفاعل مع الأنساق والسياقات التاريخية والنفسية والاجتماعية.

وعلاقة الإنسان بالمكان علاقة تأثير وتأثر، فالمكان الفني يتشكل من مجموعة الشخصيات وهي الفواعل في أي محكي، ولا يمكن لأي حدث أن يقع إلا ضمن إطار

<sup>1</sup> - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 29.

<sup>2</sup> - عبد الله أبو هيف، جماليات المكان في النقد العربي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الأدب والعلوم الإنسانية، المجلد 21، العدد 1، 2005، ص 123.

<sup>3</sup> - سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة العامة للكتاب، طبعة 1984، ص 76.

المكان المخول لذلك في زمن معين، فالشخصية في قيامها بأي عمل ترتكز على حدود المكان الذي يتم وصفه بتقنية عالية، لأنه يضمها ويضم الأحداث والزمان، وعليه يتشكل قضاء العمل السردي من مجموعها جميعاً<sup>1</sup>، فالسارد يخلق شخصياته بلغته الخاصة وخياله فيأتي المكان كفضاء محصل بالدلالات الواقعية والمتخيلة التي من خلالها يشرك القارئ ويجعله يعيش تجربته المكانية في الرواية.

فالمكان هو الذي يتبنى العناصر السردية، مما يجعله إطاراً جامعاً للعناصر الفنية، بما فيها الحدث، مما يكسبه تلك الخصوصية والتفردية التي يمتاز بها عن غيره من العاصر الأخرى لأنه بمثابة مسرح للحدث في حد ذاته فكل منها يستلزم حضور الآخر.

وظف الروائيون معنى المكان في الكتابات الإبداعية باعتباره "المكان الممسوك بالخيال والذي يسكن الإنسان ويظهر على شكل حفرية تظهر على الشخصية في تصرفاتها وسلوكها ونمط حياتها ... فالمكان يمثل القلب النابض في هذه الرواية"<sup>2</sup>.

وبهذا يتحول المكان من مجرد فضاء إلى تجربة جمالية إبداعية يصورها المبدع بخياله أو واقعيته ليجعل منه مركزاً لاستقطاب الجميع "لأنه يمثل النواة في جميع الأمكنة المكونة له والمحيطه به"<sup>3</sup>، فهو جامع لكل الأزمنة المعيشة القريبة والبعيدة، الماضية والحاضرة، وبهذا يحقق المكان جماليته، وتتنوع التجربة المكانية حسب الطاقة الإبداعية التي يفجرها كل مبدع لكونه يعيش التجربة المكانية في رواياته.

<sup>1</sup> - ينظر، محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005، د. ط، ص 68.

<sup>2</sup> - ابن السائح الأخضر، جماليات المكان القسنطيني (قراءة في ذاكرة الجسد)، دراسة نقدية تحليلية، منشورات مخبر اللغة العربية وآدابها، ص 187-188.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 188.

حيث أصبح المكان الروائي يحمل دلالات مختلفة حسب تفاعل عناصره وأنساقه فقد قسم "مول" Moles " و"رومير" Rhomer " الأمكنة إلى:

\_ "عندي": هو مكان الألفة والمكان الحميم الذي يملك المرء فيه كل سلطته.

\_ "عند الآخرين": وهو قريب من المفهوم السابق، حيث يكسب فيه الإنسان ألفته، إلا أن السلطة هنا خاضعة للغير كمكان البيت.

\_ "الأماكن العمومية": وهذه الأماكن خاضعة لسلطة الغير العامة، ويشعر الإنسان فيها بالحرية ويمكنه أن يخرج فيه من السلطة التي تحكمه، ولكن الشعور بالحرية محدود كالمقهى أو المنتزهات العامة.

\_ "المكان اللامتناهي": هو المكان الواسع ذو الرحابة، عادة ما يلجأ إليه الإنسان إذا أحس بالضيق، حيث لا يكون هذا المكان ملكاً لأحد كالبحر والصحراء... كما أن سلطة الدولة بعيدة عنه<sup>1</sup>.

فالمكان مجسد في الصورة التي تقدمها الرواية، وقد يكون مكاناً ظاهراً حيث يصفه الروائي وصفاً دقيقاً أو باطنياً يدفعك إلى استنباطه من خلال رموز الكلمات وتطور الأحداث، وهذه الأساسيات هي التي تكشف عن المكان وتسهم في فعاليته وإعطاء دلالاته داخل النص الروائي.

بينما نجد تقسيمات أخرى للمكان عند **غالب هلسا** وهي تصنيفات يمكن القول عنها أنها لم تخرج عن إطار التصنيف الأول، ويمكن حصرها فيما يلي:

\_ "المكان المجازي": وهذا النوع من الأمكنة نجده في رواية الأحداث المتتالية، يكون فيها المكان مسرحاً وساحة للحدث ومكملاً لها.

<sup>1</sup> - فتيحة كلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008، ص19.

\_ "المكان الهندسي": وهنا يكون عرض الأمكنة الخارجية التي تعنى الرواية بوصفها بكل دقة وحياد.

\_ "المكان كتجربة معاشه": وهو ما له علاقة بإحياء ذكرى من ذكريات المتلقي، أو تجربة عاشها، وهو المكان الذي يترك أثرا في نفس المتلقي.

\_ "المكان المعادي": وهو عكس المكان الأليف، فهو مكان معادي مثل: الغربة والسجن...<sup>1</sup>.

من خلال هذه التقسيمات للمكان نرى أنه يتميز بخصائص مجازية لها دلالات جمالية إبداعية تضيف على النص بعدا فنيا وتحدث في المتلقي أثرا نفسيا، يتضح هذا الأثر في مشاركة المتلقي للمبدع ومعايشته للأمكنة مما يستدعي حضور ذكريات هذا المكان، الذي يترك في مخيلته أحداثا ومواقف شتى لا يمكن أن يتناساها لأن الوجود الإنساني لا يتحقق إلا بوجود المكان الذي هو "عالم بلا حدود وبحر بلا ساحل، وليل دون صباح ونهار دون مساء، إنه امتداد مستمر مفتوح على جميع المتجهات، وفي كل الآفاق"<sup>2</sup>، إذن فالمكان يتكيف مع احتياجات السارد النفسية والاجتماعية فهو الفضاء اللامتناهي والحر الذي لا سلطة فيه، "وإن معايشة الإنسان للمكان وتآلفه معه، أو معاداته له، يشكل الخلفية الارتكازية لكل تصور أو توجه أو تشكيل فني"<sup>3</sup>، كما أنه المنطلق لكل تصرف، وسلوك الإنسان يفسر من خلال الفضاء الذي يكون كائنا فيه.

<sup>1</sup> - ينظر، محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، ص 67\_68.

<sup>2</sup> - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 57.

<sup>3</sup> - قادة عقاق، جماليات المكان في الشعر العربي المعاصر-جدل المكان والزمان-، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط2002، ص 17.

إن المكان عنصر ضروري و"إننا نستطيع أن نميز بين الأشياء من خلال وضعها في المكان، كما نستطيع أن نحدد الحوادث من خلال تاريخ وقوعها في الزمان"<sup>1</sup>، فتظهر أهمية المكان من خلال ربطه بالزمان، فالرواية من حيث هي عمل

فني، فإنها تتعامل مع عناصر الرواية ككل دائما في زمان ومكان محددين فالعلاقة التي تربط بينها هي علاقة تكامل، فكل منها يكمل الآخر، "فإذا كانت دراسة المكان تعتبر نقطة ارتكاز مهمة لمعرفة خلفيات النص الأدبي ومقارنة جمالياته بعمق، فإن دراسة الزمن هي الأخرى لا يعدم دورها المهم في هذا الفهم"<sup>2</sup> مما يدل على أن الزمن لا يقل أهمية عن المكان فمعرفة السمات الزمنية تستدعي معرف السمات المكانية على اختلاف طباعها مما يعمق دلالتها المعرفية والفنية.

### 3- دلالات المكان

إن المكان هو جزء من العالم الذي يعيش فيه الإنسان، ويمارس فيه مختلف أعماله وشؤونه الخاصة، كما يتشارك فيه مع غيره، لذا من الطبيعي أن تتجم عن ذلك كله علاقة من نوع ما تربطه بهذا المكان أو ذاك، إيجابية كانت أو سلبية، فكلنا نعلم أن المكان هو السكن والمأوى، وهو الوطن، وهو مسرح الأحداث، وحامل الذكريات، وملتقى الأصحاب، إلى غير ذلك... من هنا، فإننا نجد العديد من الدلالات التي يكتسبها المكان بالنسبة للفرد أو الجماعة على السواء، ولعل أوضح دليل على ذلك ما نجده في التراث الشعري العربي، حيث يبرز لنا "الطلل" شامخا في "ديوان العرب"، من خلال المقدمات الطللية في الشعر الجاهلي- على وجه الخصوص- لدرجة أنه تحول إلى "طقس" لابد من تأديته، مهما كان غرض الشاعر، مدحا أو هجاء أو وصفا أو رثاء.

<sup>1</sup> - سيزا قاسم، المكان ودلالاته، جماليات المكان، ص59.

<sup>2</sup> - قادة عقاق، جماليات المكان في الشعر العربي المعاصر، ص89.

وغير بعيدة عن ذلك فإن هناك ظاهرة أخرى تدعو هي الأخرى إلى التأمل، ونقصد بها ما نجده في فلسفة "الصعلكة"، حيث انقلب مفهوم المكان عند هؤلاء، فلا يستأنسون إلا بما يستوحش منه سائر أفراد القبائل، حيث الفلوات والقفار والوحوش، وعليه فإن للمكان أهمية في العمل الفني شعرا كان أو نثرا.

انطلاقا من ذلك يمكننا تبني ما ذهب إليه "سيزا قاسم"، وذلك من خلال حديثها عن المكان الفني حيث اعتبرت -في هذا الصدد- أن: "المكان الذي يعيش فيه البشر مكان ثقافي، أي أن الإنسان يحول معطيات الواقع المحسوس وينظمها، لا من خلال توظيفها المادي لسد حاجاته المعيشية فقط، بل من خلال إعطائها دلالة وقيمة، وتكتسب عناصر العالم المحسوس دلالاتها من خلال إدخالها في نظام اللغة، فاللغة هي المقابل للامحسوس لعالم المحسوسات... وإذ يدخل المكان في هذه المنظومات يكتسب كل مصطلح من مصطلحات الإحداثيات المكانية دلالة خاصة"<sup>1</sup>، فالمكان -حسب "سيزا قاسم"- ليس مجرد مساحة معينة يتوقع فيها البشر، بل هو بخلاف ذلك تماما حيث يحمل شحنات ثقافية متنوعة -حسب خصوصيته-، فللبيت خصوصية ودلالة لدى ساكنيه، وللبحر خصوصية لدى أصحاب المراكب والصيادين، كما أن من دلالات المكان ما نلاحظه في الصور الفوتوغرافية التي يحتفظ بها الإنسان طوال حياته، خصوصا إذا كان في مكان قضى فيه فترة مميزة من حياته (صغره على وجه التخصيص)، لدرجة أنه يشعر بالأسى والأسف إذا ما تم إتلافها.

وتتضح دلالة "بيت الألفة" الذي قضى فيه الإنسان طفولته من خلال هذا الوصف الرائع له من قبل "غاستون باشلار" بقوله: "إذا كنا نحتفظ بعنصر اللحم في ذكرياتنا، وإذا تخطينا مجرد تجمع ذكرياتنا، فإن البيت الذي ضاع في ضباب الزمن سوف ينبثق مرة أخرى

<sup>1</sup> - سيزا قاسم، مشكلة المكان الفني، مرجع سابق، ص64.

في جوف الظل، ونحن لا نفعل شيئاً لإعادة تنظيمه، فمن خلال الألفة يستعيد البيت هويته، خلال صقل وعدم تحدد الحياة الداخلية، ويبدو وكأن مادة سائلة قد جمعت ذكرياتنا<sup>1</sup>، فبيت الألفة إذا -لدى باشلار- يحتفظ بهويته ودلالاته لدى الشخص -مهما طال الزمن-، وحتى لو غادره، وذلك من خلال الذكريات التي يحملها في ذهنه عنه، والأحلام وغيرها، بما في ذلك أحلام اليقظة.

ولا تقتصر دلالة المكان على ما تمت مشاهدته من قبلنا، سواء بالعين المجردة أو عبر وسائل الاتصال المرئية المختلفة، فلربما تكونت لنا دلالة خاصة بمكان معين من خلال ما سمعنا عنه، أو قرأنا طرفاً من أخباره، كأن تتكون لنا فكرة عن مكان قرأنا عنه في كتاب - رغم أننا لم نطأ هذا المكان بأقدامنا-، وهذا ما أشار إليه "ميشال بوتور" بقوله: أن إدراكنا "لا ينطبق على الناس وحدهم، بل ينطبق كذلك على الأشياء والأماكن، كالأمان التي لم أذهب إليها مثلاً، ولكنها وصفت لي"<sup>2</sup>، وهناك دلالات متعددة للمكان ولكننا سنقتصر على ذكر أهمها، ونقصد بذلك الدلالات النفسية، الاجتماعية، والتاريخية.

### 3-1 الدلالات النفسية:

لابد من الإشارة في البدء إلى المنهج النفسي في النقد، والذي يعزى دائماً إلى "فرويد" من خلال أبحاثه المشهورة، خاصة بعد تحليله لأسطورة "أوديب" اليونانية، والخروج بما أسماه "عقدة أوديب"، إضافة إلى تحليله لشخصية "هاملت" بطل مسرحية "شكسبير" مروراً بجهود عدد من تلامذته كـ"ألفرد آدر" و"يونغ" و"شارل بودوان"، وكذا "شارل مورون"، وانتهاءً بجهد الناقد "سانت بييف"، هذا الأخير الذي يقوم منهجه "على تصوير الشخصية من الخارج

<sup>1</sup> - غاستون باشلار، جماليات المكان، ص75.

<sup>2</sup> - ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1986. 3. ص5.

والداخل، وذكر كل ما هب ودب عن حياتها الخاصة والعامة، مولدها ونشأتها وتربيتها...<sup>1</sup>، كما لا ننسى جهود النقاد العرب، كـ"أمين الخولي" و"مصطفى سويف"، "حامد عبد القادر"، "عز الدين إسماعيل"، وحتى "العقاد" و"النويهي" اللذين قام كلهم بدراسة عدد من الشعراء القدامى والمحدثين.

وانطلاقاً من ذلك فإن للمكان حظوة في الدراسات النفسية، التي رأت -بالإضافة إلى جغرافيته- أنه ذو حمولات أخرى تتعلق بالإنسان وعواطفه وخلجات نفسه، فهناك المكان المحبوب كالبيت والوطن والذي يحس فيه بالراحة والأمان، والمكان الممقوت حيث الوحشة والغربة والانزعاج، ولا يختلف الأمر كثيراً في العمل الفني، فالمبدع في روايته يراعي كل ما سبق ذكره إذا أراد لعمله القبول لدى القارئ، فالإنسان "يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره، وتتأصل فيها هويته، ومن ثمة يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل على المكان لتحويله إلى مرآة لترى فيها الأنا صورتها... فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها، ولكنها تتبسط خارج هذه الحدود لتصبغ كل ما حولها بصبغتها"<sup>2</sup>. وإذا انتقلنا إلى المكان في النص الروائي ألفناه ذا دلالات نفسية تختلف من مكان إلى آخر، فالبيت يجلب لسكانه الراحة التي لا يجدها في بيت آخر ليس له، فقد أشار "باشلار" إلى أنه: "يشكل... مجموعة من الصور التي تعطي الإنسانية براهين أو أوهام التوازن... ولتمييز كل هذه الصور يعني أن نصف روح البيت: إنها تعني وضع علم نفس حقيقي للبيت"<sup>3</sup>، فالبيت -إذا- ليس مجرد مكان فقط، بل هو في الوقت ذاته تشكيلة من الصور والذكريات التي تجعل منه مميزاً عن سائر البيوت التي لم يألّفها الإنسان، حيث يمكن أن يقضي فيها فترة معينة من الزمن، ورغم ذلك لا يجد فيها ما يجعله متعلقاً بها كتعلقه بمنزله.

<sup>1</sup> - زين الدين المختاري، المدخل إلى نظرية النقد النفسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1998، ص 17.

<sup>2</sup> - سيزا قاسم، مقدمة مشكلة المكان الفني، ص 63.

<sup>3</sup> - غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 45.

ويمكن إبراز الدلالات النفسية للمكان انطلاقاً من نظرنا إليه، ويتم ذلك وفق ظروف معينة تجعلنا نشعر بالطمأنينة تجاه مكان ما، ومرد ذلك بالأساس إلى الألفة التي تربطنا بهذا المكان، وعلى عكس ذلك، حيث نشعر بالنفور تجاه مكان آخر لأننا لم نعتد عليه، "ومن ثم فإن المكان يكتسب معنى عاطفياً، بل ومعنى عقلانياً، من خلال لون من التحول الشعري الذي يؤدي إلى تحويل الأصقاع الخاوية أو المجاهل البعيدة إلى معان محددة لنا هنا، ويحدث هذا التحول نفسه عندما نعالج الزمن، إذ إن جانباً كبيراً مما يرتبط في أذهاننا أو مما نعرفه عن الفترات التي نشير إليها بعبارة مثل "منذ زمن طويل" ... هو في حقيقته شاعري"<sup>1</sup>.

### 3-2 الدلالات الاجتماعية:

لعل الدلالة الاجتماعية من أكثر الدلالات بروزاً وجلاءً في أي عمل إبداعي، بما في ذلك الأعمال السردية كالقصة والرواية، وحتى المسرحية، وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى أن المبدع أو المؤلف ينطلق دائماً من خلفية اجتماعية يتميز بها المجتمع الذي يود تصويره في عمله، فيرسم معالمه بدقة حتى يتفق مع الأحداث والشخصيات التي تتحرك وفقها، ومن ذلك الدلالة الاجتماعية للمكان، فلكل مكان دلالة تختلف اجتماعياً عن غيره، فليس الكوخ كالبيت، وليس البيت كالقصر، وليس الخان كالنزل، ولا النزل كالفندق، والمكان الواحد قد يحمل من الدلالات لدى كاتب غير ما يحمله لدى كاتب آخر، فجميع ذلك يخضع لدرجة ساكنيه ومرتابيه والقائمين عليه، ويظهر الاهتمام بالمكان وتفصيلاته لدى الواقعيين والطبيعيين من أمثال "بلزاك"، "دويستوفسكي" و"إميل زولا"، "أنطون تشيكوف" و"مكسيم غوركي"، كما نجد عند العرب، الكاتب المصري الشهير "نجيب محفوظ" وذلك ما تبرزه عناوين أعماله ك"خان الخليلي"، "القاهرة الجديدة" و"زقاق المدق"...

<sup>1</sup> - سعيد. ادوارد، الاستشراق، تر محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص117.

ومن النقاد الذين أشاروا على أهمية الجانب الاجتماعي نجد الناقد والفيلسوف والمفكر الماركسي "جورج لوكاتش"، الذي ألف العديد من الكتب حول الرواية، لعل أهمها كتاب "نظرية الرواية" وكتاب "دراسات في الواقعية"، وغيرهما، وله تعريف خاص للرواية حيث اعتبرها ملحمة برجوازية "والواقع أن لوكاتش يدين بهذا الاكتشاف "هيجل" الذي رأى في الرواية "ملحمة العصر الحديث" لأن قوانين الشكل في الرواية استفادت من الأشكال الأدبية الأخرى وطورتها"<sup>1</sup>، بمعنى أن الرواية ليس طفرة، وإنما جاءت من خلال تطوير

أساليب الملاحم القديمة، والرواية لدى أصحاب المنهج الاجتماعي، والبنوية التكوينية تعبر عن واقع ما، إذ يمكن استخراج بعض مظاهر البيئة التي نشأت فيها، يقول "بيير زيماء": "يجب عند تفسير النص ألا تخضع العناصر الفردية للمجموع، أو أن تستقي ببساطة منه، يجب أيضا توضيح كيف يظهر المجموع كله في كل العناصر، ويعني هذا بشكل ملموس أن إشكالية قصيدة ما، يمكن أن تظهر بشكل مصغر في بيت من هذه القصيدة"<sup>2</sup>، نفهم من ذلك أن كل عمل وإن كان مفردا - فإنه يعكس مجموعا من الأعمال الأخرى، والتي أنتجتها نفس الجماعة في بيئة معينة، وبذلك نستنتج أن هذه الأجزاء تخضع لنفس النمط والسياق الاجتماعي، وهذا ما جعل "غولدمان" يتبنى مقولة "رؤية العالم".

### 3-3 الدلالات التاريخية:

مما لا شك فيه أن بعض الأمكنة - في الحياة العادية - تمتلك شحنات تاريخية، وذلك لارتباطها عادة ببعض الأحداث والمناسبات التي أكسبتها تلك الصفة، والأمر نفسه بالنسبة للمكان في الأعمال الفنية، فقد يأتي الروائيون على ذكر مثل هذه الأمكنة للتدليل على فكرة معينة ترتبط بالماضي العريق بمعنى أن غالبية الدلالات التاريخية للمكان تظهر في تلك

<sup>1</sup> - بسطاويبيسي، رمضان محم غانم، علم الجمال عند لوكاتش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط. 1991، ص212.

<sup>2</sup> - بيير زيماء، النقد الاجتماعي، تر: عابدة لطفي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1991، ص51.

الأوصاف التي يضيفها الروائي عليه، وكذا اعتمادا على الوظيفة أو الوظائف الموكلة إليه داخل العمل الفني، كما قد تظهر تلك الدلالات ضمن شبكة العناصر المشكلة لهذا العمل بما في ذلك الأحداث والشخصيات وحتى الزمان-، ولعل أبرز الدلالات التاريخية للمكان في الرواية العربية بصفة عامة ما تعلق بالثورة على الظلم المسلط على الأمة من طرف الآخر الأجنبي، "وكانت المسارات الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى الاستقلال وإلى الثورة في بعض الأحيان شديدة الاختلاف، ينعكس هذا الأمر في الكتابات القصصية، التي تحاول وصف القضايا الخاصة بنضال كل الأقطار في سبيل نيل حق تقرير المصير"<sup>1</sup>.

والدلالات التاريخية في الرواية- تبرز عبر الأحداث التي تجري في فلكها، ويعتمد ذلك على خبرة الروائي، مضافا إليها معرفته الدقيقة والشاملة للأبعاد والدلالات التي يرغب في توظيفها، لأن عمله موجه إلى مجموعة من القراء، الذين يختلفون في توجهاتهم وآرائهم حول المضامين التاريخية التي وظفها الروائي، وعلى العموم فإن أي رواية تحمل في طياتها دلالات تاريخية تحاول التلميح إليها عبر الأمكنة الموظفة، وكما قلنا فإن الثورة والاستقلال من أكثر الدلالات التي حاول الروائيون الاشتغال عليها في أعمالهم، فهما "يمثلان مركزا يحضر في سائر الأعمال الأدبية، وتعد القضية الفلسطينية القضية الأولى، بل الأكثر وضوحا للالتزام لدى المثقفين العرب، والرواية العربية هي التي يمكن أن تظهر مدى التنوع الإنساني وقيمة هذا التنوع، إذ تناولت هذه القضايا من زاوية مدى تأثيرها على مختلف أقطار العالم العربي، مع التركيز على الظروف المحلية لكل قطر بالذات"<sup>2</sup>، وعلى العموم فإن الدلالات-نفسية كانت أو اجتماعية أو تاريخية-تختلف من عمل إلى آخر تبعا للمضمون المعالج، وتوجه المؤلف.

<sup>1</sup> - معاش، حياة، الثورة والاستقلال في الرواية العربية، الأشعة السبعة لابن هذوقة "تمونجا"، مجلة المخبر، أبحاث في

اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، العدد التاسع، 2013، ص91.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص91.

## ثانياً: المكان في النص الروائي

تعرضنا في الصفحات السابقة إلى المفاهيم المتعددة للمكان، بما في ذلك أقوال بعض الدارسين في مجال النقد الأدبي، قبل أن ننقل إلى أهميته وبعد ذلك تم التطرق لدلالاته النفسية والاجتماعية والتاريخية مستعينين ببعض الدراسات النظرية والمتعلقة بالمكان في الأعمال الفنية وخاصة الرواية، أما فيما يلي فسنقوم بتخصيص مجال البحث وتوسيعه من خلال الحديث عن المكان في العمل الروائي فقط، عبر عدد من النقاط الهامة كأنواع المكان في الرواية، مثل البيت والمقهى والمدينة - بإعتبارها من الأمكنة الإختيارية -، والسجن - لأنه يمثل مكاناً إجبارياً -، إضافة إلى علاقة ذلك كله بسائر أركان الرواية المعروفة: علاقته بالشخصيات - علاقته بالأحداث - علاقته بالزمان .

ومما لا شك فيه أن المكان يعد ركناً في العمل الروائي حيث يكتسي أهمية بالغة، لدرجة أنه لا يمكننا تصور رواية لا يعتني كاتبها باختيار وانتقاء الأمكنة التي يراها مناسبة لسير أحداثها، ومن ذلك مثلاً الرواية التي تصور ثورة ما، فمن الضروري أن تتضمن أماكن كالأحراش والجبال والمغارات وما أشبه ذلك، مما يساعد على تحرك الجنود مثلاً، أما إذا أرادت تصوير إصلاحات زراعية فالمكان الأنسب هو القرى والأرياف، وحتى المدن بها العديد من المقاهي، والساحات، والشوارع التي تعمل كلها على تأدية مضامين معينة، ربما لا نجدها في غيرها من الأماكن، كونها تسمح للروائي بجعلها مقراً وملقياً لشخصياته التي تجد فيها أريحية للأحاديث العامة التي تجري بينهما في شتى القضايا فضلاً عن تبادل الأخبار والأحداث اليومية .

من هذا المنطلق سنبحث في - ثانياً حديثنا عن علاقة المكان بأركان الرواية الأخرى - بعض الدلالات التي تحملها الأمكنة على اختلاف أصنافها، وانعكاس ذلك على العمل الروائي، فالغرف في المنزل الواحد مثلاً تختلف عن بعضها البعض من حيث الوظيفة، بالتالي فهي تختلف كذلك من حيث الدلالة، كما أن مدينة عربية مثلاً قد تكون بالنسبة

لروائي ما وطناء، وتكون لدى روائي آخر غربة، لدرجة أنها قد تحمل دلالة المنفى اختياريا كان أو إجباريا، وما قيل على المدينة يقال على الأماكن الأخرى، فالمقهى في رواية ما قد يحمل دلالة إيجابية في حين أنه في غيرها قد يكون ذا دلالة سلبية، رغم أنه في الحالتين ملتقى للأصحاب، تقدم فيه القهوة والشاي وغيرها من المشروبات، من طرف "النادل" .

### 1- علاقة المكان بالشخصيات

الشخصية أهم ركن في أي عمل روائي إذ لا يمكن تصور عمل خلو منها، من هنا فقد لقيت اهتماما بالغا لدى النقاد والدارسين على حد سواء، وهذا الاهتمام ليس وليد اليوم بل وجد منذ القدم، من خلال مختلف الأساطير التي عرفتتها الأمم السابقة كالمصريين والبابليين والسومريين، وحتى لدى الإغريق والرومان ف " هوميروس" مثلا في ملحمتي " الإلياذة و" الأوديسة " قد اعتمد على طائفة من الشخصيات تنوعت بين الآلهة وأنصاف الآلهة، والبشر العاديين، والشيء نفسه نجده لدى سائر الشعراء الإغريق من أمثال: "إسخيلوس" و"يوريببديس" و"سوفوكليس" و"أرسطوفان"، كما لا ننسى ما تعج به "جمهورية أفلاطون" من الشخصيات، وقد تبعهم الشعراء الرومان في ذلك، وكذلك أدباء العصور الوسطى وعصر النهضة، مثلما نجد ذلك عند "شكسبير" - على سبيل المثال - في عناوين مسرحياته، مثل: "هاملت"، " الملك لير"، "مكبث"، "عطيل"، " روميو وجولييت"، " أنطونيو وكليوباترا " ... وهذا الاهتمام بالشخصية راجع بالأساس إلى كونها المحرك الفعلي للأحداث في العمل السردي، وغير السردي على عكس المكونات الأخرى كالمكان والزمان .

من هنا نجد الروائيين قد اهتموا بها، وأولوها اهتماما بالغا، لدرجة اختيار ما يناسبها من الملابس والأفعال والأقوال، ووصف أحوالها النفسية والاجتماعية وكل ما يساعد على إبراز ملامحها الخارجية ؛ لكي لا تبقى مبهمة لدى القارئ، وقد اعتبرها " غنيمي هلال" "مدار المعاني الإنسانية، ومحور الأفكار والآراء العامة، ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة، منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياها، إذ لا يسوق القاص أفكاره

وقضاياها العامة منفصلة عن محيطها الحيوي، بل ممثلة في الأشخاص الذين يعيشون في مجتمع ما، وإلا كانت مجرد دعابة وفقدت بذلك أثرها الاجتماعي وقيمتها الفنية معا<sup>1</sup>.  
فالشخصيات - في نظر غنيمي هلال - ذات أهمية قصوى في أي عمل فني، سواء كانت قصة أو رواية أو مسرحية؛ لأنها تمثل وتعكس مختلف الأفكار والقضايا العامة التي يؤمن بها ويتبناها القاص - والروائي - فلا يمكن أن نتصور فكرة أو موقفاً من المواقف الإنسانية المختلفة في قصة أو رواية دون أن تكون هناك شخصية أو مجموعة من الشخصيات التي تتبناها، وتؤمن بها وتدافع عنها.

وإذا انتقلنا إلى جهود رواد " المدرسة الشكلانية " في النقد المعاصر، وجدنا لهم نظرة مختلفة للشخصية في الحكاية، فبعد العمل الذي قدمه " فلاديمير بروب " في " مورفولوجيا الحكاية الخرافية "؛ حيث استخلص الوظائف ودوائر الفعل، من خلال دراسته لمائة حكاية، إتجه البحث النقدي وجهة أخرى وقفزة نوعية في المجال السردي، من خلال الاهتمام بالوظائف، وهذا ما نجده عند " غريماس " في النموذج العاملي، وهو ما عبر عنه " حميد لحداني " بقوله: " إن نظرة البنائية المعاصرة للشخصية مستمدة في مجموعها من مفهوم الوظائف في اللسانيات ... ولقد نظر إلى النص الحكائي وفق هذا التصور، ذلك أن ما هو أساسي فيه، هو الأدوار التي تقوم بها الشخصيات، فمن هذه الأدوار ينشأ المعنى الكلي للنص، وهذا هو سبب تحول الشكلانيين، والبنائيين معا إلى الاهتمام بالشخصية الحكائية من حيث الأعمال التي تقوم بها أكثر من الاهتمام بصفاتها ومظاهرها الخارجية ... "2، نخلص من هذا القول أن الشكلانيين - وأصحاب المنهج البنيوي بصفة عامة - لم يولوا أي

<sup>1</sup> - هلال، محمد غنيمي. النقد الأدبي الحديث. دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع. القاهرة. د. ط أكتوبر

1997، ص : 526

<sup>2</sup> - لحداني، حميد. بنية النص السردي. ص : 52.

إهتمام للشخصيات في الحكاية إلا من خلال الأدوار التي توكل إليها، أو ما يسمى بالوظائف التي تقوم بها .

ومع تطور المناهج النقدية المعاصرة اختلفت النظرة إلى الشخصية، إذ لم تعد لها تلك القداسة التي كانت من قبل؛ فقد تراجعت مكانتها مقارنة بالمكونات السردية الأخرى (الزمان، المكان، الحدث ... )، لدرجة أن بعض الروائيين لم يكلفوا أنفسهم عناء إعطاء اسم لها ( نجد ذلك لدى كافكا على سبيل المثال )، ولعل أجمل ما قيل في هذا الصدد ما ذكرته " ناتالي ساروت " بقولها: " الشخصية لم تعد اليوم سوى ظلا لها، والروائي يمنحها من وراء قلبه كل ما يمكن أن يريحها بسهولة: شكل جسدي، حركات، أفعال، أحاسيس، مشاعر فياضة. وكلها أشياء مدروسة ومعروفة منذ زمن بعيد، تساعد على إعطائه بشكل جيد مظهر الحياة، وتمنح للقارئ قناعة مريحة حتى الاسم الذي يحتاج إليه كضرورة، يعد لباسا غريبا بالنسبة للشخصية.<sup>1</sup> ف"ناتالي ساروت " - في هذه الفقرة - تعلن صراحة عزوف الروائيين عن الاهتمام بالشخصية في أعمالهم، وحتى إن فعلوا فسيكون ذلك من باب الضرورة الفنية لا غير، وليست الأسماء التي لهذه الشخصية أو تلك سوى مظهر من مظاهر التمييز بينها. ولا نريد أن نسترسل في الحديث عن الشخصية الروائية، وإنما سنبحث في العلاقة بينها -كعنصر بارز من عناصر العمل الروائي - وبين المكان، أو بالأحرى علاقة المكان بها، هذه العلاقة الجدلية المعقدة التي طالما شغلت الباحثين والنقاد، وذلك بسبب طبيعة الشخصيات في الرواية، وربما طبيعة الرواية في حد ذاتها، ولا بأس أن نذكر بما أشرنا إليه سابقا حول بعض الأمكنة التي يستأنس بها أفراد معينون مع أنها تبدو لدى غيرهم موحشة، وهذا ما نجده لدى الصعاليك بشكل واضح (لا نقصد الشعراء وحدهم)، فهؤلاء يفضلون العيش عيشة السلب والنهب في الفيافي والصحاري، وسط الوحوش والذئاب، على العيش

<sup>1</sup> - ساروت، ناتالي. عصر الشك. ترجمة وتقديم: فتحي العشري. المشروع القومي للترجمة. عدد: 335. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. ط: 1. 2002. ص: 43.

وسط قبائل ذات أنظمة تقيد حريتهم، من هنا وجب النظر إلى هذه العلاقة نظرة تراعي فيها مختلف الظروف والخلفيات .

والمكان في الرواية يؤثر أيما تأثير في شخصياتها، لذلك اعتبره " ياسين النصير" "شخصية متماسكة ومسافة مقاسة بالكلمات، ورواية لأمر في الذات الاجتماعية. ولذا لا يصبح غطاء خارجيا أو شيئا ثانويا. بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متاخلا بالعمل الفني".<sup>1</sup> وبذلك فإن المكان - في الرواية- وعاء لكل ما يتعلق بالشخصيات؛ من حركات وأفعال وغير ذلك، وهو بذلك مجال للعلاقات بينها؛ فالبيت يختص بالعلاقات الأسرية، والبحر مجال خصب للعلاقات بين الصيادين وأصحاب السفن والمراكب، وهكذا بالنسبة لسائر الأماكن. فأى شخصية في الرواية إلا ولها محل ومكان - سواء كان قارا كالبيت، أو القرية، أو كان مؤقتا، كأن يغادر إلى قرية أو مدينة أخرى ثم يعود -

والقارئ للرواية يستطيع معرفة طبيعة الشخصيات وثقافتها، وغير ذلك من الأمور التي تتكشف له من خلال المكان الذي ترتاده أو تسكنه ؛ فمن خلال الأماكن نستطيع قراءة سايكولوجية ساكنيه، وطريقة حياتهم، وكيفية تعاملهم مع الطبيعة ؛ أي المكان من خلال منظور التاريخ.<sup>2</sup>، فسكان القرى مثلا يختلفون - في طبيعتهم- عن سكان المدن، - فهناك مثلا عادات وتقاليد تخص قرية لا تتفق بالضرورة مع غيرها من عادات القرى المجاورة، فما بالك بالمدينة التي تتصف في الغالب بالحرية والانفتاح، كما أن أهل القرى يعرفون بعضهم البعض جيدا، وأي غريب ينزل لديهم يتعرفون عليه، كما أنهم غالبا ما يمارسون سلطة على بناتهم، ويمنعونهم من الخروج، فضلا عن الدراسة وممارسة المهن، وبتعبير آخر فإن البيئة (ونحن نتحدث هنا عن البيئة الروائية ) لها كل التأثير على الشخصيات وإذا كان الريف يخضع لعادات وأعراف تقيد حرية الأفراد، فإن المدينة مكان أكثر حرية واتساعا وانفتاحا،

<sup>1</sup> - النصير، ياسين. الرواية و المكان. ص : 17.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

وبذلك فهي تختلف عنه اختلافا جوهريا، وقد عرفت المدينة - في الأعمال الروائية - اهتماما هي الأخرى، لأنها ذات دلالات مختلفة تبعا لحالة الشخصيات، وفضاؤها يحمل تنويعات مختلفة " وقوانين السير فيها تختلف بالنسبة لراكبي السيارات والسابلة، فهناك المنعطفات، ومعاجيل الطرق، والحوازر، وازدحام السير حسب الساعات والأيام، فبعض البلدان غنية بشبكات السير، والبعض الآخر لا طرقات فيها، وبعضها مليء بمحطات الوقود، بينما الآخر يضطر فيها المسافر إلى أخذ احتياطاته " <sup>1</sup> . وعليه فإن المدينة كفضاء روائي لا تختلف كثيرا عنها في الحياة العادية لأن هذه من تلك. وما يدور في الرقعة " المدينة " للرواية هو محاكاة لحياة سكان المدينة في الواقع، وإن بصورة فنية تخيلية.

والجميل في الأمر أن الرواية - ورغم كونها مجرد عمل فني - ليست منفصلة انفصالا كلياً عن الواقع المعيش ؛ فهي غالبا ما تصور لنا تلك العلاقة المتينة بين الريف والمدينة كمكانين يبدوان متمافرين، لكنهما في الحقيقة متكاملان ؛ لأن أبناء القرية ينتقلون إلى المدينة لقضاء بعض شؤونهم الخاصة، كما أن سكان المدينة ليسوا غرباء عن القرى والأرياف، بل ربما يكونون قد عاشوا هناك لفترة قد تطول أو تقصر - تبعا لظروف كل واحد منهم - وفي الرواية تكون بعض الشخصيات التي تنتمي إلى المدينة إما منتكرة للقرية التي ترعرعت فيها، وإما مستغلة من موظفين لا يعرفون الرحمة، ولا يحكمهم نظام أو قانون، وقد يكون البعض الآخر مفتخرا بقريته التي رتبته، كما أن هناك من يسكن في القرية والمدينة معا .

وعلى العموم فإن إشكالية المكان في الرواية ليست مطروحة إلا من خلال علاقته بالشخصيات التي تتحرك على رقعته. فهناك من الروائيين من يزوج بين القرية والمدينة في عمل واحد ليجعل لشخصياته مكانا أرحب وأوسع للتحرك، وعليه فإن " إنفساح المكان مابين القرية والمدينة، يتيح للكاتب الروائي، إذا ما أحسن استخدام الإمكانيات الفنية والفكرية - أن يعرض لأمر من حياة الناس، ومن أطوار المجتمع، أدل على شمول خبرته، ودقة رصده،

<sup>1</sup> - بوتور، ميشال. بحوث في الرواية الجديدة. ص: 47.

وحسن تعليقه، وصدق تمثله لواقع الحياة، على نحو أجود مما لو طابق حدود عالمه الروائي بحدود القرية " <sup>1</sup> . فالحياة ليست محصورة في مكان واحد بل تتعداه إلى غيره وهناك مكان آخر لا يجب إهماله أو إغفاله في أي عمل سردي ؛ ونعني به البيت، ذلك انه يعتبر مهد الإنسان الأول، فيه ولد وقضى طفولته، وفيه تربي وكبر، لذا فان له علاقة متينة به، مما جعل معظم الدراسات المتعلقة بالمكان تشير إليه، لعل أهمها على الإطلاق ما كتبه "غاستون باشلار" في ( جماليات المكان )، وذلك حين ربط بين بيت الطفولة - كمكان أليف - وبين أحلام اليقظة، يقول مثلاً: " في داخل الوجود، في وجود الداخل يغلف الدفء الوجود مرحباً، الوجود يحكم نوعاً من الجنة الأرضية ... حين نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه، وبينما نحن في أعماق الاسترخاء القصوى، ننخرط في ذلك الدفء الأصلي، في تلك المادة لفردوسنا المادي . هذا هو المناخ الذي يعيش الإنسان المحمي في داخله " <sup>2</sup> .

فالبيت - في نظر باشلار - مكان للأحلام (و نعني هنا أحلام اليقظة)، والذكريات والدفء (المقصود هنا بيت الطفولة)، كل ما له علاقة بالماضي الجميل الذي يحب المرء تذكره وتشم رائحته - ولو عن طريق اللاوعي - ف" باشلار" هنا يؤكد على جاذبية البيت الذي تولد فيه الشخصية، لدرجة أنه شبهه بالفردوس، هذا الفردوس الذي لا يغيب عن الذاكرة مهما تركه الإنسان، وغادر إلى غيره من البيوت .

لقد حلل " باشلار" العلاقة بين بيت الطفولة وبين الشخصية التي عاشت فيه تحليلاً فلسفياً عميقاً، معتمداً في ذلك على علم النفس بالدرجة الأولى، من خلال تأكيدته على الذكريات ؛ هذه الذكريات التي لا يمكن إيجادها إلى داخل بيت الطفولة، ويتجسد ذلك عبر ما اسماه " بأحلام اليقظة "، هذه الأخيرة التي تلعب دوراً هاماً في بلورة جماليات البيت،

<sup>1</sup> - عبدالله، محمد حسن. الريف في الرواية العربية. سلسلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب. الكويت

العدد : 143 . نوفمبر 1989 . ص : 185.

<sup>2</sup> - باشلار، غاستون. جماليات المكان. ص : 38.

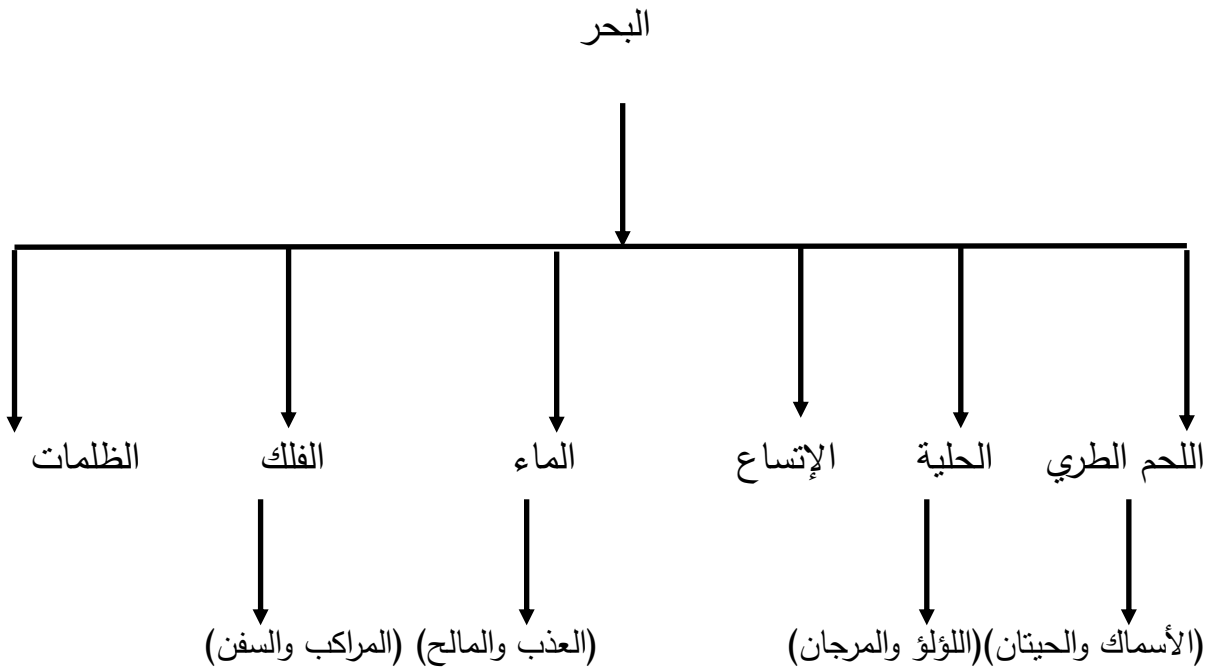
ندرك ذلك من خلال قوله: [إن « ]الكثير من ذكرياتنا محفوظة بفضل البيت . وإذا كان البيت أكثر تعقيدا، أي له قبو وعلية، وأركان منعزلة، ودهاليز، وأروقة، فإن أحلامنا تكون أكثر تحديدا. نعود إليها دوما في أحلام يقظتنا، ولهذا فعلى المحلل النفسي أن يركز عنايته على التمرکز المكاني البسيط لذكرياتنا «<sup>1</sup> . انطلاقا من ذلك فإن البيت في العمل الروائي ذو علاقة بالشخصيات، نجد ذلك في اغلب الروايات - الواقعية منها والرومانسية -، لسبب بسيط ؛ وهو أن أي شخصية إلا ولها بيتها الخاص، والذي تحتمي فيه من حر الصيف وبرد الشتاء، إضافة إلى أي عمل روائي إلا ويصور بيئة ما من الواقع، لكن رغم ذلك فالبيوت تختلف باختلاف أصحابها، فهناك البيت الضيق، والبيت المتسع، والبيت الخالي، وهذا الاختلاف يقود بالضرورة إلى اختلاف في أمزجة الشخصيات وإذا انتقلنا إلى البحر لقينا مكانا فسيحا شاسعا، وهو مصدر رزق للإنسان، كما أنه مصدر خوف وهلع، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع عديدة: منها قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " <sup>2</sup> وقوله تعالى " اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " <sup>3</sup> .

ولا ننسى أن الله - تبارك وتعالى - قد نجى نبيه موسى - عليه السلام - عن طريقه وأغرق فرعون وجنوده، وللبحر منافع ومضار يمكن إيجازها في المخطط التالي :

<sup>1</sup>- باشلار، غاستون.جماليات المكان. ص : 39 .

<sup>2</sup>-النحل:14.

<sup>2</sup>-الجاتية : 12.



والبحر في أصوله اللغوية يشير إلى العمق والاتساع، لدرجة أن اللغويين العرب القدامى عادة ما يسمون معاجمهم بالبحر أو المحيط، كناية منهم على اتساع مادتها، التي تصل إلى عدة مجلدات، إضافة إلى أنهم يصفون الرجل الذي تفوق في علم معين بقولهم: فلان متبحر في الفقه، أو السيرة، أو النحو، أو غير ذلك من العلوم المختلفة ... جاء في الصحاح: وتبحر في العلم وغيره، أي تعمق فيه وتوسع.<sup>1</sup>

لكن على مستوى السرد فإن البحر له دلالات متنوعة تبعا لتنوع التداول الفني داخل العمل.

<sup>1</sup> - الجوهري. الصحاح. مادة (بحر)

## 2- علاقة المكان بالحدث

مما لا شك فيه أن أي عمل سردي يقوم على فعل أو مجموعة من الأفعال التي تشكله، أو ما يسمى بالأحداث، وهي من الأركان الواجب توفرها - إن في الدراما، أو القصة سواء كانت قصيرة أو طويلة كالأسطورة والملحمة والرواية -، ويعرف الحدث بأنه: سرد قصصي موجز أو قصير، يتناول موقفا واحدا، وحين تنتظم الأحداث معا، ويجمعها خيط واحد بطريقة مترابطة، تصبح سلسلة أحداث في الحكمة.<sup>1</sup>

فمن ميزات الحدث - حسب التعريف السابق - الإيجاز، وتناول موقف واحد. " وفي مصطلح بارت، فإن الحدث مجموعة من الوظائف يحتلها العامل، فعلى سبيل المثال فإن الوظائف المنوطة بالذات في سعيها نحو الهدف تشكل الحدث الذي نسميه مطلباً " <sup>2</sup>. وهناك تعريف آخر يعتبره بأنه كل ما يؤدي إلى تغيير أمر، أو خلق حركة، أو إنتاج شيء. " ويمكن تحديد الحدث في الرواية بأنه لعبة قوى متواجهاة، أو متخالفة، تتطوي على أجزاء، تشكل بدورها حالات مخالفة أو مواجهة بين الشخصيات " <sup>3</sup>.

وقد عرف هذا المفهوم - في مجال التنظير - منذ " أرسطو"، في كتاب " فن الشعر " الذي خصصه عن التراجميا بشكل خاص، بعد أن بلور فكرة التطهير عبر إثارة الخوف والشفقة، وذلك انطلاقاً من دراسته لنماذج من المسرحيات خاصة " مأساة أوديب " لـ " سوفوكل"، وإستخلص بعض القواعد من بينها الوحدات الثلاث، بما فيها وحدة الموضوع، وهذا الموضوع الواحد يجب أن تكون فيه الأحداث مترابطة ومتسلسلة بشكل لا يحتمل التقديم والتأخير ؛ من أجل الوصول الى النهاية التي يريدها الكاتب، ويتوقعها القارئ . لأن الحكمة - حسب

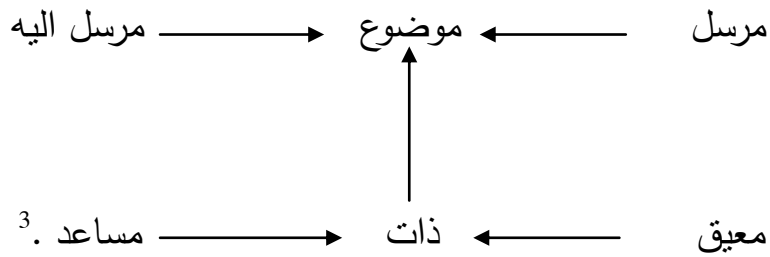
<sup>1</sup> فتحي،ابراهيم.معجم المصطلحات الأدبية.المؤسسة العربية للناشرين المتحدين.التعاضدية العمالية للطباعة والنشر.صفاقس.عدد: 1. 1986.ص: 137.

<sup>2</sup> برنس،جبرالد.المصطلح السردى.تر: عابد خزندار.المشروع القومي للترجمة .عدد 368 .المجلس الأعلى للثقافة.القاهرة.ط 1. 2003. ص: 19.

<sup>3</sup> زيتوني،لطيف.معجم مصطلحات نقد الرواية . مكتبة لبنان ناشرون.ط 1. 2002. ص: 74.

أرسطو - " ينبغي أن تبنى على نحو متقن، يجعل من يسمعها تروى - دون أن يراها معروضة - يمتلئ بالرعب، وتأخذ الشفقة، وذلك هو الأثر الذي يشعر به كل من يصغي الى قصة " أوديب " تتلى عليه " <sup>1</sup> .

وبالإضافة إلى ما سبق يمكن القول: أن الحدث في النص السردي - بما في ذلك الرواية - له أسس وقواعد معينة. " ولعل النظام الأكثر شيوعاً في دراسة الحدث هو ذلك الذي يقوم على ستة عوامل أو وظائف يمكن ترجمتها بالذات الفاعلة وموضوع الرغبة والمرسل والمرسل اليه والمساعد والمعاكس " <sup>2</sup>. أو ما يعرف بالنموذج العملي الذي صاغه " غريماس " . وقد جاء النموذج كما يلي:



أما المحاور فهي كالاتي:

الذات ← محور الرغبة → الموضوع

المرسل ← محور الابلاغ → المرسل اليه

المعيق ← محور الصراع → المساعد <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أرسطو، فن الشعر، تر: ابراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ط. دت. ص: 141.

<sup>2</sup> - زيتوني، لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية . مكتبة لبنان ناشرون، ط 1 . 2002 . ص : 74.

<sup>3</sup> - بنكراد، سعيد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، عدد 29 . 2001 . ص: 76 .

<sup>4</sup> - لتفصيل أكثر ينظر : بنكراد، سعيد، المرجع نفسه، ص77 وما بعدها.

وفي الواقع أن " غريماس " إنطلق في دراسته السيميائية للأفعال (الأحداث) بما في ذلك النموذج العاملي، والمحاور ( الرغبة -الابلاغ- الصراع ) من رؤية شكلانية تمثلت أساسا في جهود الروسي " فلاديمير بروب " من خلال ( مورفولوجية القصة الخرافية )، حيث درس مائة خرافة روسية، ولاحظ أنها تشترك في بنائها الوظيفي، ليخلص في الأخير الى بناء نظريته السردية المتمثلة في اكتشافه لواحد وثلاثين وظيفة موزعة على سبع دوائر للفعل، وقد إنصب اهتمام مدرسة باريس حول السيميولوجيا بوجه عام، وذلك ما يتضح بشكل جلي من خلال الأعمال الفردية والثنائية التي قام بها كل من " غريماس " و" جوزيف كورتيس " و" جاك فونتاني " .

ومن بين الذين اهتموا بدراسة الحدث في القصة والرواية " توماشوفسكي " الذي ميز بين مفهومي " المتن الحكائي " و" المبنى الحكائي "، { فالمتن الحكائي هو مجموع الاحداث المتصلة فيما بينها، والتي تكون مادة أولية للحكاية، أما المبنى الحكائي فهو خاص بنظام ظهور هذه الأحداث في الحكاية ذاته }<sup>1</sup> .

ومعنى هذا أن المفهوم الأول يتعلق بالأحداث الحقيقية التي تجري في الواقع ( أو كما يفترض أن تكون كذلك ) متسلسلة مرتبة زمانيا ومكانيا، في حين أن المفهوم الثاني المتعلق بالمبنى فهو الطريقة والكيفية التي يتم بها عرض هذه الأحداث في العمل الفني ( قصة رواية )، والتي غالبا ما تعتمد على التناوب في سرد حدثين متزامنين، بالإضافة إلى العودة في أحيان كثيرة إلى أحداث وقعت في الماضي ( تقديم وتأخير )، إلى غير ذلك .

والأحداث في الرواية هي مجموعة من الأفعال التي تقوم بها الشخصيات، مهما كان ترتيبها الزمني لأن زمن القصة وزمن حكايتها يختلفان كون الشخصيات في الحياة العادية تقوم بتلك الأحداث بشكل قد يكون متوافقا زمنيا مما يستحيل معه سردها في نفس الوقت،

<sup>1</sup> - لحمداني، حميد.بنية النص السردي. ص : 21 .

وهنا يعتمد الراوي إلى تسبيق أحداث وتأخير أخرى لكن سياق الكلام يجعلنا نفهم توافقهما الزمني، كما أن الأحداث " تتوالى في السياق السردى تبعاً لمنطق خاص بها يجعل وقوع بعضها مترتباً على وقوع البعض الآخر. أي أن ما يقع، أو ما يجري فعله، خاضع لمنطق، وإن بدا لنا أحياناً عبثياً فإنا نلاحظ لكل منطق، فالمنطق هذا خفي، يتوخى، في خفائه أحياناً، فالمظهر العبثي، أو الإيحاء بالفوضى " <sup>1</sup> .

وفي الرواية فإنه إذا كانت هناك علاقة بين المكان والشخصيات - كما مر بنا آنفاً - ، فالأمر نفسه بالنسبة لثنائية مكان - حدث، لأن أي حدث يرتبط بالضرورة بمكان يقع فيه سواء كان اختيارياً أو إجبارياً أو حتى من قبيل المصادفة، ولتوضيح ذلك نأخذ بعض الأمثلة من الواقع: فالبحر عادة له علاقة بأحداث من قبيل: السباحة، صيد السمك، العبور، أما المسرح والسينما فمن قبيل مشاهدة عرض درامي أو سينمائي، والمسجد متعلق بحدث الصلاة، على خلاف المقهى الذي يحتوي في العادة على أناس ينشدون الهدوء والراحة وتبادل الآراء بين الأصدقاء بعيداً عن أمكنة أخرى لا تسمح لهم بذلك، كالبیت الذي يضم أحداثاً كتناول الطعام والاستحمام، والنوم، وغير ذلك من الشؤون اليومية.

### 3- علاقة المكان بالزمن

ركن آخر من أركان العمل الروائي، لا يقل أهمية عن غيره، ونقصد به الزمن، هذا المفهوم الذي شغل الفلاسفة والنقاد على مر العصور، نظراً لما يحمله من معاني مختلفة باختلاف المعتقدات القديمة والحديثة، والسبب في ذلك أنه يحيل إلى المجهول، فمهما بلغ الإنسان من العلم والمعرفة فإنه يظل عاجزاً أمامه، لا لشيء إلا لأنه مفهوم مجرد غير ملموس، لكنه مع ذلك ذو تأثير كبير على الموجودات، فهو الغائب الحاضر، وهو يختلف عن المكان اختلافاً جوهرياً مهما إقترن به طبيعياً، لأن الإنسان مهما غادر مكاناً ما فإنه

<sup>1</sup> - العيد، يمى. تقنيات السرد الروائي. ص: 43.

يعود إليه من حين إلى آخر، بينما لا يتأتى له العودة إلى زمن قد مر عليه - شاء أم أبى - ، من هنا يجدر بنا أولاً تقديم بعض التعريفات المتعلقة بالزمن .

ويتبدى تأثير الزمن بشكل لا يدع مجالاً للشك فيما نطالعه عن الأمم والأقوام البائدة، التي ورد ذكرها في سور عديدة من القرآن الكريم، وكذا كتب التاريخ، كعاد وشمود، وأصحاب الرس، وغير ذلك كثير، لدرجة تسميتهم بالقرون، ومعلوم أن كلمة " قرن " ذات حمولة زمنية، لأنها في العرف اللغوي تطلق على مدة زمنية تساوي " مائة عام "، قال تعالى: " أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ "1 . فالقرون في هذه الآية وغيرها تعني الأمم السابقة، التي كذبت الرسل فأتاها العذاب، ودليل ذلك قوله تعالى: " كَمْ أَهْلَكْنَا " فالهلاك يكون للأمم والأقوام، كما اشتمل القرآن على بعض الثنائيات الزمنية كالليل والنهار، الغدو والآصال، الغداة والعشي ...

كما اهتمت به الأمم القديمة على اختلافها، وذلك ما نجده في أساطيرها ومعتقداتها، ويتجلى في فكرة الحياة والموت، والبحث - عبثاً - عن وسيلة للخلود، ف " جلجامش " مثلاً يحاول الوصول إلى ماء الحياة، حتى يتسنى له الخلود، لكنه يفشل في مهمته، والسبب أنه ليس من الآلهة، لذا فلا يحق له ذلك، وحتى الفلاسفة اهتموا بفكرة الزمن إلى جانب اهتمامهم بالمكان، من ذلك مثلاً ما نجده في كتاب "فن الشعر" لأرسطو، عبر حديثه عن الفرق بين التراجيديا والملحمة " فالتراجيديا تحاول أن تقصر مداها - كلما أمكن ذلك - على زمن مقداره دورة شمسية واحدة، أو ربما تجاوزت ذلك بقليل، بينما لا يتحدد فعل الملحمة بزمن "2 . ويعود السبب في تحديد زمن المسرحية كونها كانت تعرض أمام الجمهور.

1- السجدة: 26.

2- أرسطو. فن الشعر. ص: 89.

ومن النقاد الذين نظروا إلى الزمن على مستوى النصوص السردية " جيرار جينيت " في كتابه الشهير: " خطاب الحكاية " حيث ميز بين كل من " زمن القصة " و " زمن الحكاية "، لأن الخطاب السردى ما هو الا تجسيد لقصة تتخذ مجالا زمنيا يقدر بالأيام، وربما بالأشهر والسنوات.

وقد أطلق اسم " المفارقات الزمنية على الترتيب الزمني للحكاية؛ ويقصد به "مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردى بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة، وذلك لأن نظام القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة المباشرة أو تلك " <sup>1</sup> . وعلى العموم فان الترتيب الزمني للأحداث في الخطاب السردى لا يخضع لقواعد صارمة تضبطه، على عكس الترتيب الزمني الحقيقي للقصة الذي لا رجعة فيه.

ومن بين المفارقات التي نجدها في النصوص السردية – بما فيها الرواية – ما يسمى بالاسترجاع، وهو من التقنيات الهامة حيث يعمد القاص أو الروائي إلى ذكر أحداث لاحقة، ثم يعود بالقارئ إلى زمن سابق؛ كأن يذكرنا بطفولة شخصية ما أو بحادث جرى لها فيما مضى، بغية توضيح فكرة ما. " والقصة تعرف أنواعا عديدة من الاسترجاع، حيث تقوم الشخصيات بحكاية ما فعلته أو رأته من قبل، كما أن المؤلف عندما يدخل شخصية جديدة يبرر الدور الذي يسنده إليها برواية شيء عن ماضيها " <sup>2</sup> .

وقد ارتبط كل من الزمان والمكان لدى العرب بالأحداث التي تقع في البيئة، وذلك ما نجده مذكورا في مدوناتهم الشعرية والنثرية، لأن " زمن الصحراء هو زمن الحال والترحال،

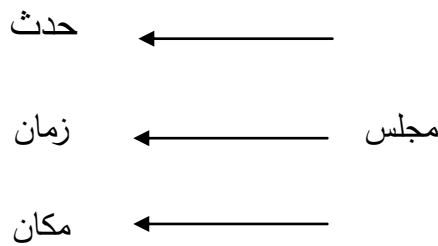
<sup>1</sup> - جينيت، جيرار. خطاب الحكاية. تر: محمد معتمد، عبد الجليل الأردى، عمر حلي. المشروع القومي للترجمة. المجلس الأعلى للثقافة. ط2. 1997. ص : 47.

<sup>2</sup> - فضل، صلاح. بلاغة الخطاب و علم النص. سلسلة علم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب. عدد : 164. أغسطس 1992. ص : 305.

يتجدد بالحوادث، والمشاهد، والأمكنة، وأنواع المعاناة، فهو بمثابة مكان للحدث، تماما مثلما أن المكان هو موضع حدوث الشيء، ومن هذا التداخل بين الزمان والمكان والحدث في الحقل المعرفي العربي البياني " <sup>1</sup> . فالحياة العربية القاسية جعلت القبائل دائمة التنقل غير الأمكنة، بحثا عن موارد المياه، وأسباب العيش، لدرجة تسميتها الأمطار بالغيث، من هنا تكونت لدى العربي عموما والجاهلي خصوصا فكرة اقتران الزمان بالمكان، خاصة في المقدمة الطللية التي تبرز بوضوح الأثر الذي تتركه السنون على الربوع والدمن.

كما يشير " الجابري " في حديثه السابق الى فكرة العلاقة الزمانية المكانية على مستوى البيان العربي، ويقصد به تشابه الأوزان الصرفية لكل من إسمي الزمان والمكان، فقد أشار إلى " صيغة مفعول التي تدل على الحدث كما تدل على الزمان والمكان. فكلمة " مجلس " مصدر ميمي من " جلس " فهي حدث مجرد من الزمان ... ولكنها أيضا تستعمل اسم زمان للدلالة على زمن الجلوس، كما تستعمل إسم مكان للدلالة على مكانه. " ومعنى ذلك أن لفظة مجلس تحمل دلالة زمنية، ومكانية في الوقت نفسه.

نعبر عن ذلك كما يلي:



وتتخذ العلاقة بين الزمان والمكان بعدا فلسفيا عميقا لدى " غاستون باشلار "، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في مقدمة كتابه " جدلية الزمن " حيث شبه تلك الصور والخطوط التي نشاهدها في الحقول - باعتبارها مكانا - بصور الزمان يقول: " جعلنا السيد " غاستون

<sup>1</sup> - الجابري، محمد عابد. بنية العقل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط9، أغسطس 2009. ص : 189.

رومبيل " نفهم التوافق البطيء بين الأشياء والأزمان، بين فعل المكان في الزمان، ورد فعل الزمان على المكان، وأن السهل المحروث يرسم لنا صورة من الزمان شديد الوضوح مثل صور المكان."

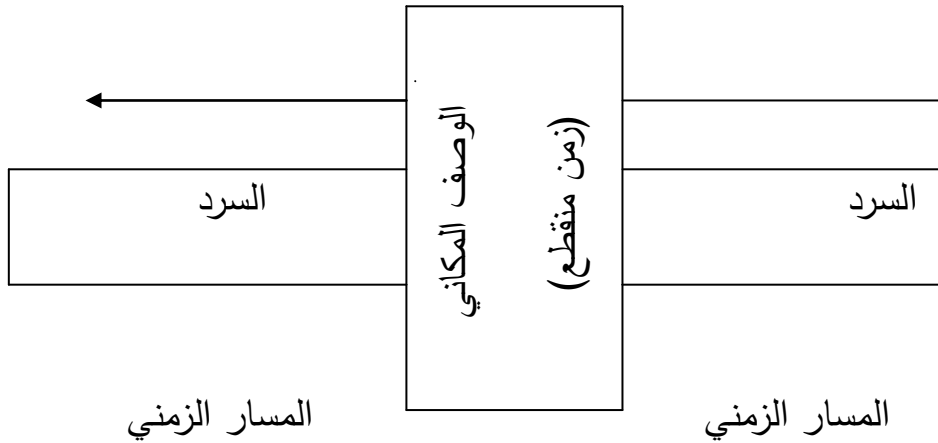
ولعل بيت الطفولة من الأمكنة التي تحتفظ بالذكريات، وبذلك فهو ذو حمولة زمنية من خلال الأحلام والذكريات التي تختزنها ذاكرة الإنسان كلما عاوده الحنين إليه . يقول " باشلار" في ذلك: " يجب أن أبين أن البيت هو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، ومبدأ هذا الدمج وأساسه هما أحلام اليقظة، ويمنح الماضي والحاضر والمستقبل البيت ديناميات مختلفة " <sup>1</sup> . من خلال المثالين تتضح لنا نظرة " باشلار " للزمان والمكان باعتبارهما متصلين غير منفصلين، لأن الأحداث إذا ما وضعت في سياق زمني، ينبغي - كذلك - أن تكون في سياق مكاني.

والرواية من النصوص السردية النموذجية حيث يتضافر كل من المكان والزمان في الدفع بسيرورة الأحداث إلى التقدم والاستمرار، للوصول إلى النهاية المرجوة من قبل السارد، بغض النظر عن الترتيب الخطي لهذه الأحداث في الخطاب، بل المهم في ذلك: " إن الحديث عن مكان محدد في الرواية يفترض دائما توقفا زمنيا لسيرورة الحدث، لهذا يلتقي وصف المكان مع الانقطاع الزمني، في حين أن الفضاء يفترض دائما تصور الحركة داخله، أي يفترض الاستمرارية الزمنية، أنه بعد أن ينتهي وصف المكان في رواية مثلا، تأتي الحركة السردية لتؤكد حضور الزمان في المكان " <sup>2</sup> .

ومعنى ذلك أن الوصف المكاني في الرواية يفترض توقفا زمنيا مؤقتا، لحين العودة إلى السرد، مما يضفي انسجاما مكانيا .

<sup>1</sup> - باشلار، غاستون.جماليات المكان. ص : 38.

<sup>2</sup> - لحميداني، حميد.بنية النص السردى. ص : 63.



إن هذه الترسيمية تؤكد أن السرد يقتضي حركة زمنية، تتبعها بالضرورة حركة للأحداث؛ وهذه الحركة تكون داخل مكان واحد أو عدة أمكنة؛ بمعنى أن المكان حاضر في السرد والوصف معاً، إذ لا يعقل أن تجري أحداث داخل فراغ. كما أن الوصف يقتضي إعطاء صورة للمكان الذي سوف تجري فيه الأحداث اللاحقة، وبين هذا وذاك هناك ملاحظة مهمة، تتعلق بكون الزمن السردية مجرد زمن مجازي؛ بمعنى أنه ليس خطياً بصفة صارمة - مهما حاول الراوي -، ومع ذلك ففيه من القرائن ما يجعلنا نعرف ترتيبه الحقيقي بشكل عفوي. " ولعل تفسير ذلك، أو سببه، يكمن في أن الوقائع التي تقع في الحياة ليست بسيطة، بل هي معقدة تتسجها خيوط عدة. وهي - من حيث هي كذلك - تقع في آن واحد. لو كان للقصة التي تقص أن تكون مخصصة لهذا الواقع، لكان عليها أن تنتقل باستمرار من شخصية إلى أخرى لكن. لئن فعلت، يبقى من المستحيل على القاص أن يقول، في الوقت ذاته، ما يحدث هنا وهناك. " <sup>1</sup>

<sup>1</sup> - العيد، يمنى. تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي. دار الفرابي. بيروت ط3. 2010. ص : 112.

# الفصل الثاني

## جمالية المكان في رواية الفيل الأزرق

أولاً: الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة

ثانياً: البعد النفسي للمكان في رواية الفيل الأزرق

إن المكان بوصفه رقعة جغرافية يعني الامتداد والاتساع للمحل والفضاء الذي يحيط به بما يحمله من علامات جغرافية... "إذ إن حضوره في النص يخضع بدرجة كبيرة لرؤيا المبدع ووفق بؤرة اهتمامه بالمكان وفق علاقته به في حدود ما تثيره أبعاده النفسية والاجتماعية والسياسية".<sup>1</sup>

للمكان حضور دائم في حياتنا، سواء كان على الصعيد الواقعي أو المتخيل ولعل الاهتمام بدراسات المكان - على مستوى الدراسات الأدبية الحديثة - إنما يعود الفضل فيه لظهور كتاب جماليات المكان ل" غاستون باشلار " في ثمانينيات القرن الماضي، وفيه أصل الكاتب لمفاهيم ورؤى جديدة لدراسة المكان المادية حيث أن هناك العديد من الأمكنة في الرواية سوف نتطرق إلى ذكر أنواعها في هذا الصدد.

#### أولاً: الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة

تعد الرواية من الأجناس الأدبية القادرة على تصوير الحياة والتعبير عن مشكلات العصر والإنسان ومشكلاته النفسية والاجتماعية وموضوع المكان من المواضيع الهامة التي شملت الروايات العربية وقد اقترن اسم المكان بالرواية وأطلق عليه ما يسمى بالمكان الروائي وهناك أنواع لهذا المكان الروائي التي تنقسم إلى أماكن مغلقة ومفتوحة.

**1- الأماكن المغلقة:** هي " التي تحدها حدود من جوانبها الثلاثة على أقل تقدير بشرط أن تكون لها حدود سقفية " <sup>2</sup>، وهذه الأماكن تجعل من فيها منعزلاً بعيداً عن الكل ليس عنده ارتباط وخصوصية بالخارج وهناك بعض الأماكن تفرض على الناس التواجد فيها

<sup>1</sup> - جمال مجناح . خطابات المكان في الشعر الفلسطيني الحديث قراءة في الأبعاد والدلالات. ص: 80

<sup>2</sup> - رحيم علي جمعة، المكان و دلالاته في الرواية العراقية، أطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 2003 ، ص : 147.

لعدة أسباب منها الحاجة الخاصة لها كالببوت والمستشفيات والمصانع ... وقد قسمت هذه الأماكن إلى قسمين:

• **أماكن مغلقة عامة:** هي التي يرتادها جميع الناس والتي تتمثل في المدارس، المستشفيات، والمساجد... الخ. فالظروف المعيشية تفرض علينا التواجد في هذه الأماكن ويرتبط مقدار التواجد فيها بالظرف والحاجة لهذه الأماكن، فتصبح مألوفة هذه الأماكن عندنا.

• **أماكن مغلقة خاصة:** هي الأماكن التي يكون فيها المكوث لأصحابها والعيش فيها بشكل دائم ولا يحق للغير اقتحامها، فهي لها هيبه وحرمة في الدين والقانون، وهي أماكن تستوعب همومنا وبيعث فيها الأمان وتتمثل هذه الأماكن في البيوت والقصور والشقق والفيلات.

2- **الأماكن المفتوحة:** " هي الأماكن التي تكون مفتوحة من جانب واحد فأكثر شرط أن تكون مفتوحة من أعلى. " <sup>1</sup>

وهذه الأماكن هي التي تمنح الطمأنينة للإنسان وتجعله أكثر تفاؤلاً في مواجهة الحياة ولذلك يسعى الناس لهذه الأماكن عندما تواجههم ظروف طارئة، وعندما تزداد تعقيدات الحياة والتخفيف من ضغوطها وتنقسم هذه الأماكن إلى قسمين:

• **أماكن مفتوحة عامة:** ويرتاد هذه الأماكن شخصيات مختلفة أرغمتها ظروف المعيشة للتواجد فيها، وقد تكون دائمة أو طارئة، وقد تلجأ الشخصية إلى هذه الأماكن من أجل غاية معينة، فالشوارع تصبح أماكن وممرات إلى أماكن أخرى، ونعكس هذا على المرتفعات والأزقة والحدائق العامة.

<sup>1</sup> - رحيم علي جمعة، المكان و دلالاته في الرواية العراقية، أطروحة دكتوراه، كلية الاداب ، جامعة بغداد، 2003 ، ص :

• أماكن مفتوحة خاصة: وتشمل هذه الأماكن كل مكان مفتوح في جوانبه وخصوصاً أعلاه، بحيث تكون خاصة لأناس يمتلكونها، وتدخل ضمن هذا الإطار الحداثق المنزلية، الأراضي ذات الملكية الخاصة، المزارع ... الخ.

### 1- المكان الروائي أنواعه ودلالاته في الرواية

من خلال دراستنا لأنواع المكان في رواية الفيل الأزرق اكتشفنا العديد من الأمكنة في هذه الرواية على الرغم من الغموض الذي يتلبس العنوان حيث أن العنوان بعيد كل البعد عن المضمون إذا ما لم تتم قرائته ولكن بعد القراءة المعمقة نستطيع الغوص والدخول في عالم هذه الرواية وبعد الدخول إلى عالم الرواية يتضح لنا وجود العديد من الأمكنة ولكل مكان دلالاته الخاصة.

#### 1-1- الأماكن المغلقة (الداخلية):

- مستشفى العباسية:

يرجع بناء مستشفى العباسية للأمراض النفسية لعام 1883 كان قصراً لأحد الأمراء واندلع فيه حريق كبير التهم القصر ولم ينجو من ذلك الحريق سوى مبنى مكون من طابقين تم طلاؤه باللون الأصفر، وتحول بعد ذلك إلى أول مستشفى عقلي بالقاهرة ليطلق عليه اسم السرايا الصفراء ، هو المستشفى الذي كان يعمل فيه الدكتور " يحيى " والذي رجع للعمل فيه بعد خمس سنوات من الحادث الذي وقع له حينما انقلبت سيارته وتوفت كل من زوجته وابنته، أهمية هذا المكان أكسبته دورا بارزا في سيرورة الرواية، يقول الراوي: " توغلت وسط العنابر الفيروزية الباهتة، بنايات من دور واحد يرجع بعضها لأكثر من مائة عام مضت، يهيم النزلاء حولها بأجسامهم الهزيلة، نظراتهم الشاحصة شحيحة التعبير، نفوسهم العزيزة بين

أكتافهم المحنية، وأكياس بلاستيكية معلقة في أصابعهم تأوي حياة وكراكيب وأحلاما تبحث  
عمن يفسرها .. " 1

- مستشفى بهمن النفسي:

نشأ المستشفى عام 1940 يعد من أهم رواد الصحة في الطب النفسي، يضم أقساما  
داخلية لحجز المرضى، وعيادات خارجية وهو المكان الذي عمل فيه شريف ماهر الكردي  
طبيب نفسي والمتهم بقتل زوجته، وفصل منه لأسباب لم تذكر يقول الراوي: " شريف ماهر  
الكردي، طبيب نفسية عمل حتى عام مضى بمستشفى بهمن النفسي قبل أن يفصل منها  
لأسباب لم تذكر، متهم بقتل زوجته بسمة مجدي ... " 2

- مستشفى عين شمس التخصصي:

مستشفى يتكون من 3 أدوار متكررة تتفرد بثلاث رعايات متخصصة وذلك على النحو  
التالي، الدور الأول ويشمل وحدة جراحة القلب ووحدة جراحة المخ والأعصاب. الدور الثاني  
ويشمل وحدة جراحات متخصصة، وحدة أمراض الصدر ورعاية الصدر وهي أول رعاية  
متخصصة لمرضى الصدر بمصر. الدور الثالث ويشمل وحدة السكتة الدماغية ورعايتها،  
وحدة الأمراض العصبية. يقول الراوي " ركضنا به إلى مستشفى عين شمس التخصصي  
وباطن يدي يعتصر الجرح المتفجر، وضعناه على الطاولة وشرعنا في إقناع نزيه المنهمر  
بالتوقف ... " 3

- بار Deals الزمالك:

مكان مناسب لغداء عمل أو سهرة مع الأصدقاء، موسيقى جاز أو بلوز أو ديسكو في  
أغلب الأيام بعد الساعة الحادية عشر ليلا. لا مكان للرقص وهذا مريح للذين يحبون

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص: 10.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 39.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 138.

الاستمتاع بكأس من النبيذ وبعض الدردشة في جو هادئ، يقدم المكان مشروبات كحولية مستوردة ومحلية، أو مشروبات غير كحولية، مرفقة بمآزة مكونة غالبا من الترمس، وبخيار متنوع من السلطات ومن الوجبات السريعة، هنالك أيضا طاولة بلياردو لمن يحبون اللهو على الطريقة الأمريكية، ديكور المحل يوحي للزبون أنه في فيلم أمريكي كلاسيكي، قبل أن يدرك سريعا أنه في القاهرة، من خلال المشهد الذي يوفره المكان من الدور الرابع عشر في أحد شوارع حي المهندسين، يعتبر هذا المكان الذي تعرف فيه دكتور يحي على مايا والذي كانت تقضي فيه وقتها يقول الراوي : "البار يقع في جزيرة الزمالك، متوسط الحجم تنزل من أجله درجتين تحت الرصيف قبل أن تمر بباب خشبي على شكل نصف دائرة، ليتخللك مباشرة دفء الكحول والإضاءة الصفراء الخافتة .. " <sup>1</sup>

- مبنى " 8 غرب":

" المبنى خلف الأسوار مكسو بطوب قرمزي باهت، طابق أرضي كبير على هيئة مستطيل ينقصه ضلع، شبابيكه مغلقة بالحديد وأبوابه غليظة تثبت اليأس في النفوس " <sup>2</sup> هو المكان الذي دارت فيه أحداث رواية الفيل الأزرق " يستقبل 8 غرب المشتبه في قواهم العقلية اثر ارتكابهم جرائم يحالون على ذمة التحقيق تحت حراسة مشددة ليدعوا ذلك القسم تمهيدا لاختبارهم نفسيا وعقليا على مدار 45 يوما قابلة للنقص أو الزيادة لتقييم مدى وعيهم عند ارتكاب الجريمة، إن كانوا لحظتها مسئولين عن أفعالهم فيحاكموا محاكمة عادية، أو أنهم كانوا تحت ضغط مرضي (عقلي أو نفسي ) هيأهم بلا وعي لتنفيذها فيتم إيداعهم سجن الخانكة لينتلقوا العلاج تمهيدا لخروجهم حال الشفاء تلك مهمة أطباء القسم، حسم الخلاف بتقرير استشاري يساعد القضاء في تحديد حكمه .. " <sup>3</sup>

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012 ، ص : 221 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص : 20.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص : 20.

يعتبر ( 8 غرب) المحور الأساسي لسير أحداث الرواية لأنه مكان عمل الشخصية الرئيسية حيث يذهب بنا الراوي إلى مكان أو أمكنة معينة ويرجع بنا إلى قسم ( 8 غرب) المكان الرئيسي الذي تدور فيه أحداث الرواية حيث نجد أن الراوي قد ركز على هذا المكان وأعطاه أهمية كبيرة ودور بارز، المكان تم تحصينه كأقوى سجن في مصر، ولا يتم الدخول والخروج إليه إلا في ظل إجراءات أمنية مشددة تجعل مسألة الهروب منه ضرباً من الخيال . إن دلالة قسم ( 8 غرب ) هنا هي بمثابة المبنى الرئيسي الذي تتحرك فيه الشخصيات لتتسأ حركة للرواية من خلال تفاعلها داخل هذا المكان ويكمن جماله في دوره في تحرك الشخصيات داخله وتسلسل أحداث الرواية .

#### - محل رسم الوشوم ( Buddha Tattoos designs )

"... المحل له واجهة زجاجية ضيقة عليها رسم لبوذا في هيئته البدينة، جالساً ويده مضمبتان بالنقش ومن خلفه ستارة فضية متألأة فوقها اسم « Buddha » مكتوب بلمبات نيون تضيء وتنطفئ برتابة ... صالة المحل من الداخل ضيقة حيطانه مزدهمة بنماذج وشوم لكل من يبحث عن هوية ..."<sup>1</sup>

#### - غرفة عمل الوشوم:

الغرفة كانت واسعة نسبياً، رائحتها بخور مسكر، غنية بتمائيل لبوذا بأحجام مختلفة، من عقلة الإصبع لمتراً فوق الأرض المكسوة بسجاد سيرازي مزخرف، ونجفة خافتة تضيء بالكاد الحائط المزين بلوحات أبيض وأسود مبهرة لجلود آدمية وشممت بعناية، بجانب مكتبة تصل للسقف عامرة بالكتب، وفي المنتصف منضدة عليها مسدس الحقن والمطهرات وبعض الألوان في أوعية زجاجية ..."<sup>2</sup>

<sup>1</sup>- أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012 ، ص : 150.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص : 151 .

يعتبر هذا المكان من أهم الأماكن في سير أحداث الرواية فبفضل هذا المكان تم فك اللغز الذي طالما كان "يحي" يبحث عن فهمه، اللغز الذي كان عبارة عن الوشم المرسوم في فخذ زوجة شريف والذي تبين لاحقاً أنه سحر وليس وشم الأمر الذي أذهل د.يحي وكشف له طرف الخيط في فهم باقي ما جرى .

#### - المتحف الإسلامي:

يعد أكبر متحف إسلامي بالعالم حيث يضم مجموعات متنوعة من الفنون الإسلامية من الهند والصين وإيران مروراً بفنون الجزيرة العربية والشام ومصر وشمال إفريقيا والأندلس، بدأت فكرة إنشاء المتحف في عصر الخديوي " إسماعيل " سنة 1869 وتم تنفيذ الفكرة سنة 1880 في عصر الخديوي " توفيق " للمتحف مدخلان أحدهما في الناحية الشمالية الشرقية والآخر في الجهة الجنوبية الشرقية وهو المستخدم الآن ويتكون من طابقين؛ الأول به قاعات للعرض، والثاني به المخازن وبدروم يستخدم كمخزن ولقسم ترميم الآثار .

يقول الراوي: "...تتخلل تلك المجموعة صور لمبنى قديم أعرفه ! نعم أعرفه المتحف الإسلامي بباب الخلق أمام مديرية أمن القاهرة ! بعدها مجموعة صور لفاترينة عرض زجاجية في المتحف نفسه... " <sup>1</sup>

#### - غرفة عوني للعب القمار:

كان يجتمع كل من "يحي" و"شاكر" و"عوني" في هذه الغرفة ليلعبوا البوكر، لعبة تقوم على القمار والرابح يأخذ المال كله يقول الراوي " الغرفة كانت واسعة، التكييف جعلها في برودة ثلاجة لحم، تتوسطها منضدتان، الأولى تحمل كؤوساً وأطباقاً مشهيات وعدة زجاجات لوحت لي من بينهم عشيقتي « chivas » بجانبها صينية تحمل ورق بفرة وتبغا وفرشة

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص : 85 .

حشيش " سبغات تقطر زيتا "، المنضدة الثانية مستديرة مكسوة بالجوخ، فوقها لمبة خافتة متدلّية من السقف ... " <sup>1</sup>

- عنبر الحجز:

... " مستطيلا كبير تتخلل حوائطه نوافذ مغلقة بشبكات الحديد، بامتداده تراصت الأسرة المبنية كالمصاطب على الأرض في صفين، فوقها مراتب إسفنجية مغلقة بملاءات ومشمع داكن لزوم سرعة التنظيف، السقف على ارتفاع خمسة أمتار تحتله مراوح كبيرة وشبكة استشعار حريق، وعلى الجوانب شاشات تلفزيونية عريضة تثبت فضائيات سخيفة لهرس الوقت الطويل، وفي اليمين حمام مقسم لست كبائن مكسوة بستائر ومنزوع منها كل ما قد ينخلع ليصير سلاحا أبيض .. " <sup>2</sup>

يعتبر هذا المكان الذي يوضع فيه المشتبه فيهم تحت الحجز مع حراسة مشددة حتى لا تقع أي مناوشات أو مشاكل بين النزلاء.

- غرفة العزل:

" غرفة ضيقة مبطنة بالإسفنج والجلد مخصصة لحالات الهياج الشديد لن تجد فيها شيئا لتؤذي به نفسك إذا نويت .. " <sup>3</sup>، تم وضع شريف الكردي فيها بعد أن اعتدى بالضرب على زميله " فوكس"، يتم فيها وضع المشتبه فيهم من حتى يهدئوا وتقل عدوانيتهم .

- غرفة نور:

نور هي ابنة الدكتور يحي والتي توفت رفقة والدتها في حادث مرور اثر انقلاب السيارة يقول الراوي في وصفه للغرفة: "... بابها لم يفتح منذ ماتت، الظلام كان مسيطرا رغم النهار، ستائر الغرفة القرمزية ضربتها الشمس فسكبت نبيذها على الدولاب والسرير وصور

<sup>1</sup>- أحمد مراد، الفيل الأزرق، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص ، ص : 30.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه 2012 ، ص : 23.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص : 99.

ابنتي التي غطت الجدران، كل شيء في مكانه كما هو منذ خمس سنين، لعبها، دولابها الوردية، وبيجامتها المفضلة ... " <sup>1</sup>، دلالة هذا المكان لدى الراوي واضحة حيث يمثل له الضيق والألم وذلك لأنه يذكر يحي بابنته وزوجته المتوفيتين، هاته الصورة السلبية التي بقيت في ذهنه وضلت تلاحقه لأنه يظن بأنه المذنب والسبب في موتها حيث انه كان يقود بسرعة وتحت تأثير الكحول وهذا ما نلاحظه في قوله " الظلام كان مسيطرا رغم النهار " أي أن خلو الغرفة من ابنته جعل المكان مظلماً وموحشاً حتى ولو كان في النهار .

#### - غرفة شقة شريف الكردي:

عمارات عثمان بالمعادي كان مكان سكن شريف أبراج رفيعة شاهقة، باب الشقة كان في الطابق الثلاثين يقول الراوي: " ... باتجاه الباب المغلق، فتحته فصدمتني رائحة عطنة مكتومة قبل أن أضيء نور غرفة معيشة ! في اليمين كنبه متهالكة منزوعة الكسوة مقعرة من المنتصف، وفي اليسار حائط موشوم بمتتالية شريف الرقمية ذاتها ! مكتوبة ببنت كبير خلف مكتبة صغيرة خالية إلا من زهرية نبتتها الصناعية ذبلت واصفرت، تكدست الزجاجات البلاستيكية التي تميزها أثار صفرة البول في ركن لن أطرقه، الركن الذي وجدوا فيه شريف، عرفته من بقايا دماء شرايينه التي لم تغادر السجادة، اقتربت من النافذة وفتحتها تهوية فصفع الهواء وجهي، تحاملت ونظرت إلى أسفل فضولاً، لو سقطت من هذا الارتفاع لتوقف قلبي قبل أن أصل نصف المسافة ... " <sup>2</sup>، كان المكان الذي سقطت منه زوجة شريف الكردي أين لقت حتفها وبعد ذلك تم اتهام شريف بأنه الفاعل الى حين ادخاله الى مستشفى العباسية وفهم كامل تفاصيل الحادثة .

<sup>1</sup>- أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012 ، ص : 179.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، ص : 76.

- غرفة المتابعة:

هي عبارة عن غرفة لمتابعة سلوك المرضى الموجودين في العنبر أثناء استراحتهم بحيث يستطيع الأطباء مشاهدة ما يفعله المرضى، يقول الراوي: " اتجه محسن مع عسكري للباب الحديدي للعنبر فدلفت غرفة المتابعة أراقب سلوكه ... " <sup>1</sup>

- المطعم:

هو مكان تقدم فيه المأكولات والمشروبات للزبائن، تم تشغيل المطاعم بداية الأمر على جوانب طرق السفر، أما اليوم فان المطاعم تكاد تكون في كل مكان في الشوارع الهادئة والطرق المزدهمة ... يقول الراوي: " ... وانطلقت الى الزمالك، في نهاية شارع " أبو الفدا " دلفت المطعم، الجو كان شرقيا، اخترت منضدة متطرفة قرب النيل وجلست ... " <sup>2</sup>

- محل " اللورد ":

عبارة عن محل خمور صغير يقع في شارع 9 بالمعادي قريب من بيت الدكتور " يحي " يقول الراوي: " مررت على " اللورد " قبل البيت؛ محل خمور صغير يملك صاحبه معجزات من الحياة في ثلاجته، التقطت منه زجاجة « jack Daniel's » " <sup>3</sup>

- الحمام:

يعتبر هذا المكان مكان استرخاء وراحة للبال بالنسبة ل " يحي " حيث يحمل في هذه الرواية دورا ايجابيا وبعدا نفسيا اذ أن يحي لديه ازدواج (شخصية جيدة، وشخصية سيئة) فلقد كان هذا المكان عبارة عن ملجأ للهدوء وغسل لنفس يحي السيئة التي كانت فيه وهذا ما نجده في قول الراوي: " ... حملت مكعبات الثلج من الفريزر الى الحمام، فتحت المياه بعدما

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص : 51.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص : 63.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص : 132.

وضعت السدادة ثم أفرغت يدي، امتلأ الحوض فدست رأسي في المياه المتلجة قبضا لأوعيتي المحتقنة ... " <sup>1</sup>

و في قوله أيضا: " ... حين وصلت البيت غسلت كوبا زجاجيا طويلا واستخرجت مكعبات ثلج حتى امتلأ حوض الاستحمام، استلقيت في المياه وعلى يميني تبغي، كحولي، تليفوني، ومشغل أسطوانات عتيق يحتضن كل أغنيات فريق « Doors »، يقتلني " جيم موريسون " في رائعته « Break on through to the other side »، ضغطت زر التشغيل وأغمضت عيني واسترخيت .. " <sup>2</sup>

#### - المطبخ:

هو المكان المخصص للطبخ، وهو غرفة يتم فيها طبخ الطعام وتحضيره يوجد فيها ثلاجة وفرن وتحتوي على المأكولات والمشروبات، يقول الراوي: " ... ثم أنزلت قدمي أتحسس شبشا ترنحت فيه حتى المطبخ على صوت طقطقة كاحلي المعتادة كل خطوة، التقطت من الثلاجة زجاجة « Meister » ... " <sup>3</sup>

#### - غرفة النوم:

تعتبر هذه الغرفة مكان نوم الدكتور " يحي " حيث تحمل مجموعة من الدلالات تشير كلها الى الحالة النفسية السيئة التي تراود " يحي " والتي يتخلص منها عن طريق هذا المكان باعتباره ملاذ للراحة ونجد هذا واضحا في قول الراوي: " ... خلعت ملابسني في طريقي الى غرفة النوم قبل أن أنهار على سريري . " <sup>4</sup>

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص :06.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص : 132.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص : 06.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص : 34.

- عمارات عثمان بالمعادي:

هي المكان الذي يوجد فيه شقة شريف الكردي والذي ماتت فيه زوجته، جاء لهذا المكان كل من " يحيي " و " لبنى " لتفقد الشقة من أجل إيجاد أشياء تساعد في حل قضية موتها وسقوطها من العمارة، نجد هذا في قول الراوي: " ... ظلت صامتا حتى وصلنا أمام عمارات عثمان بالمعادي، أبراج رفيعة شاهقة تثير رهاب الارتفاعات في مدرب قفز بالمظلات، تتناثر عليها وحدات التكييف كحب الشباب في وجه مراهق ... " <sup>1</sup>

- محل " درينكيز "

بفرع هليوبوليس يوجد المحل لبيع الخمور، توجه اليه دكتور " يحيي " مع " لبنى " بعدما تشاجر مع سامح زميله ولكمه على أنفه حينما استفزه الأخير، يقول الراوي: " أوقفتها قرب " درينكيز " فرع هليوبوليس ودخلت أستجدي علبة بييرة أستبدل بها دمي الذي غلى وتبخر، تجرعتها في المحل في رفعة واحدة وسط دهشة الباعة والزبائن ... " <sup>2</sup>

1-2-الأماكن المفتوحة ( الخارجية ) :

لقد تعددت الأمكنة المفتوحة وتتمثل فيما يلي:

- الحديقة:

هي عبارة عن مساحة خضراء تحيط بالمنزل في العادة، تم وضعها للعرض والزراعة والاستمتاع بالنباتات وغيرها من أشكال الطبيعة. قام الراوي بتقديم المكان وتحديدته من خلال ذكر الاسم ورسم معالم هذا المكان منذ بداية عرض أحداث الرواية حيث قال: " ... قبل أن أخرج إلى الحديقة المنسية المحيطة ببيتي، مشيت فوق العشب الجائع ... " <sup>3</sup>

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012 ، ص : 47.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص : 127.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص : 08.

وصف الراوي لهذا المكان كان سلبيًا حيث نجد في العديد من مواطن هذه الرواية وصفه للحديقة بالجرداء والمنسية، هذا يدل على عدم الاهتمام بها وعدم سقي نباتاتها وهذا راجع بطبيعة الحال للحالة النفسية التي كان يعاني منها الدكتور " يحيى " بعد وفاة زوجته وابنته في الحادث، هذا الحادث الذي أثر سلبيًا على حياته وجعله يخوض عزلة لمدة خمس سنوات لم يلتقي فيها بأحد ولم يمارس فيها شيئًا سوى المكوث في البيت . وهذا نجده في قول الراوي: " ... لا شيء، حتى في الحديقة المنسية الجرداء ... " <sup>1</sup>

#### - الشارع:

يعتبر مركز ثقل الأمكنة ؛ لأنه واحد من أماكن الانتقال النموذجية حيث يجذب إليه أو تمر عليه العديد من الأحداث وتخترقه أغلب الشخصيات، فالشارع كما يقول عنه " السعيد الورفي " هو " المجال الاجتماعي والاقتصادي الذي تتحرك فيه الشخصيات " <sup>2</sup>، فشوارع هذه الرواية تمثل ذلك المسرح الذي شهد حركة الشخصية الرئيسية والمتمثلة في الدكتور " يحيى " ومثال ذلك نجده في قول الراوي: " ... ثم عبرت الشارع واشترت جريدة هي الأولى التي ابتاعها منذ خمس سنوات ... " <sup>3</sup>، ذكر " يحيى " (الراوي) العديد من الشوارع التي مر بها كشارع أبو الفدا وشارع المرصد بطوان وشارع 9 بالمعادي، هذا الأخير الذي يمارس فيه ضروريات حياته الشخصية لأنه مكان قريب من سكنه يقول: " شاردا سحبنتي رجلاي لشارع « 9 » بالمعادي، أمارس ضروريات ال « single »

المملة، قسط فيزا متأخر، استلام ملابس مكوية، ووجبة سريعة مهدرجة الزيوت قبل أن أتجه للبيت ... " <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012 ، ص : 177.

<sup>2</sup> - السعيد الورفي ، الرواية العربية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 2009 ، ص : 98.

<sup>3</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012 ، ص : 08.

<sup>4</sup> - نفس المرجع ، ص : 109.

- الطريق:

الطرق أو الطرقات هي أماكن لانتقال ومرور الأشخاص وتشهد حركتهم ونشاطاتهم حيث نجد في هذه الرواية ذكر الطرقات في قول الراوي: " ... تمشيت في الطرقات حتى توقفت أمام غرفة يجلس فيها موظف إداري ... " <sup>1</sup> .

ولقد ذكر الراوي أسماء طرق نذكر منها "طريق الساحل الشمالي" هذه الطريق التي وقع فيها حادث انقلاب السيارة والذي توفي من خلاله كل من زوجته وابنته، ونجد ذكر الطريق في قول الراوي "يحي": " - بنتي.. ومراتي.. ماتوا في حادثة على طريق الساحل الشمالي من خمس سنين! " <sup>2</sup>، " طريق وادي النظرون " والذي يعتبر نفس الطريق الذي وقع فيه الحادث، يقول الراوي: " ... وعداد سرعة يشير إلى 160 كم/س على طريق وادي النظرون ثم إطار سيارة ينفجر ... " <sup>3</sup>، وطريق على جانبه شجر عتيق، كان عبارة عن مكان مسافته من مبنى الإدارة حتى الحدود الغربية لمستشفى العباسية، مر من خلاله الدكتور يحي متجها إلى مبنى "8 غرب" المكان الذي واصل فيه عمله بعد الانقطاع . يقول " يحي ( الراوي): " المسافة الطويلة من مبنى الإدارة حتى الحدود الغربية للمستشفى استغرقت سيجارة، طريق على جانبه شجر عتيق يرقب القادمين ... " <sup>4</sup> .

- البحر:

يطلق هذا الاسم على أي تجمع كبير للمياه المالحة، وعلى الرغم من أنه مكان مفتوح إلا أنه حمل في هذه الرواية دلالات سلبية كالضيق والتعب شاهدناها في مشاعر وأحاسيس

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012 ، ص :66.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص :44.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص : 123.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ، ص : 19.

الدكتور " يحيى " حيث يقول: " ... اتجهت إلى النافذة لأغلقها، أتحرك ببطء كأنى في قاع بحر... " <sup>1</sup>

ارتبطت كلمة بحر في مواطن عديدة من الرواية بكلمة قاع، التي إن دلت عن شيء فإنما تدل على الظلمة حيث أن قاع البحر مكان موحش ومظلم لن تستطيع أن ترى فيه نور الشمس .

#### - الشاطئ:

هو اليابس على طول حافة محيط أو بحر أو بحيرة أو نهر، حمل هذا المكان ذكريات في نفس الدكتور " يحيى " بعد أن رأى صور تجمعته مع شريف ولبنى في أيام الكلية فترة التسعينيات يقول الراوي (يحيى): " ... أزحت عدة ألبومات معتقلة منذ زمن بشريط لاصق والتقطت واحدا أخيرا يرقد في القاع، ألبوم يرجع لفترة التسعينيات، الصور فيه تكدست لا ترتيب زمني، أغلبها لقطات لشلة الكلية في نزاهات القاهرة وعلى شواطئ الإسكندرية... " <sup>2</sup>

دلالة هذا المكان تحمل الشوق والحنين لتلك الأيام التي قضاها الدكتور " يحيى " بجانب "شريف" وأخته " لبنى" التي طالما أحبها وأرادها أن تكون زوجة له إلا أن شريف لم يقبل حينما طلبها منه " يحيى " بحكم أنهم كانوا أصحابا وسهروا مع بعض وعاشوا أيام الشباب سويا، هذا الشوق الذي أعاد الحب في قلب " يحيى " جعله يعيش في أمل أن ترجع الأمور كما كانت عليه ويقوم بالاقتراب منها من جديد وتكوين علاقة معها .

#### - فرنسا:

تعتبر واحدة من البلدان الأجنبية ذات الثقافة العالمية، كانت قبلة للكثير من الزائرين والسياح ومازالت إلى يومنا هذا، ذكرت في الرواية على لسان " لبنى" عندما طلب منها الدكتور " يحيى " أن تحكي له تفاصيل حادثة موت " بسمة " زوجة شريف وسقوطها من

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012 ، ص :48.

<sup>2</sup> - نفس المرجع ، ص :172.

العمارة حيث تقول: " - كل حاجة كانت ماشية كويس لحد قبل الحادثة بشهرين .. وعلى حظي كنت في فرنسا تبع البنك لما عرفت من ماما إن فيه مشاكل بين شريف وبسمة ..."<sup>1</sup> إن دلالة هذا المكان هو العمل والاحتكاك بالخبرات الأجنبية.

- انجلترا:

هي أكبر دولة في المملكة المتحدة وتعتبر من كبرى الدول الأجنبية من حيث النظام والإقطاع، لقد ذكر هذا المكان في هذه الرواية حينما كان يبحث الدكتور " يحيى " في الانترنت على حل لماهية الأرقام التي كتبها له " شريف " يقول الراوي (يحيى): " ... قد أجد حلا على الشبكة، انتظرت حتى أتم ال « Windows » ديباجته المملة قبل أن أضرب الأرقام على صفحة « Google »، ثوان وأنتني النتائج بأرقام تصدير وشحن وموقع وحيد في انجلترا يبيع الحشيش والماريجوانا بشكل مؤمن عن طريق كارت الفيزا ! "<sup>2</sup>

- مصر:

هي دولة عربية تقع في الركن الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا، ولديها امتداد آسيوي، حيث تقع شبه جزيرة سيناء داخل قارة آسيا فهي دولة عابرة للقارات نجد ذكرها في الرواية حينما وقع حوار بين ديجا (خديجة) صاحبة محل الوشوم عندما سألتها الدكتور " يحيى " عن الوشم المرسوم في فخذ "بسمة" زوجة " شريف " حيث تقول: " ... - مش فاكدة إني شفت حاجة بال « Finish » ده قبل كده.. ال « style » شرقي بس I'm sure انه معمول بره مصر .. للأسف ما عندناش المكن ده ... "<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص : 67.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص : 63.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص : 156.

دلالة هذا المكان توحي بأن مهنة عمل الوشوم أمر جديد على مصر هذا البلد المسلم وأنه بلد متخلف في هذا المجال بحيث لا يملك الإمكانيات والآلات والطابع الخاصة لعمل الوشوم .

- الإسكندرية:

تعد العاصمة الثانية لمصر بعد القاهرة، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، نجد أنه تم ذكرها في الرواية بعد الحوار الذي دار بين مديرة المستشفى " صفاء" والدكتور " يحيي " حين سألته عن أسباب غيابه الطويل وهل مازال وحيدا وكان جوابه في قول الراوي: " ... - ما بارتاحش غير وأنا لوحدي، بس باروح إسكندرية كل أسبوعين أزور ماما وأختي ... " <sup>1</sup> دلالة هذا المكان تدل على الاستشعار بالأقارب والأرحام وأهميتهم في هذه الحياة من خلال مشاركتهم الأفراح والأحزان.

- الزمالك:

هو أحد الأحياء الراقية في غرب مدينة القاهرة. ويقع على جزيرة تقع في وسط نهر النيل. تسمى جزيرة الزمالك أو الجزيرة ولقد اشتهرت بأنها من أرقى وأهدأ أحياء القاهرة ومقر سكن لأثرياء المنطقة حيث نجد في الرواية أن الدكتور " يحيي " ذهب إلى الزمالك وبالتحديد شارع " أبو الفدا " أين قصد المطعم الذي اتفق على أن يلتقي فيه بـ " لبنى " يقول الراوي: " ... وانطلقت إلى الزمالك، في نهاية شارع " أبو الفدا " دلفت المطعم، الجو كان شرقيا دافئا، اخترت منضدة متطرفة قرب النيل وجلست ... " <sup>2</sup>

إن دلالة هذا المكان هو الشوق والحنين حيث أن " يحيي " لم يلتقي " لبنى " منذ فترة طويلة، بالإضافة إلى الحب والعشق الذي مازال في قلبه اتجاهها .

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص : 63.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص : 13.

- طنطا:

مدينة مصرية، وعاصمة محافظة الغربية تبعد 93 كم شمال القاهرة وهي ملتقى هام للطرق الحديدية والبرية وتربطها بأنحاء البلاد شبكة مواصلات جيدة، نجد ذكرها في الرواية حينما قال " د. كيلاني " بأنه سوف يقضي إجازته هناك عند حديثه مع الدكتور " يحي " يقول: " ... وهاشوفه لما أرجع من الإجازة، لسه عندنا خمسة وأربعين يوم، مش عاوز حاجة من طنطا ؟ " <sup>1</sup>

دلالة هذا المكان يدل على الترفيه وقضاء أوقات ممتعة حيث أنه مكان يقصد لقضاء الإجازات .

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص : 109.

ثانيا: البعد النفسي للمكان في رواية الفيل الأزرق

تمهيد:

يعود البعد النفسي للمكان إلى ما يمكن أن ينهض به المكان من أحاسيس وتشكلات نفسية مختلفة، تترد إلى الذات الشاعرة حيث إن استحضار المكان يكون مساهما في تقديم رؤية نفسية متشكلة في صور مختلفة، حيث كان له دور في إبراز جملة من الاهتزازات النفسية للذات .

المكان وتأثيره في البعد النفسي :

1.المكان وعلاقته بالتشاؤم :

- التشاؤم:

إن الإنسان المتشائم هو الذي يعيش بطريقة سلبية في الحياة ،فقد ورد التعريف بمصطلح التشاؤم على انه : التشاؤم لا يقع في حياة الفرد إلا إذا كونت لديه عقدة نفسية، وللعقد النفسية ارتباط وجداني سلبي شديد التعقد والتمسك حيال موضوع ما من الموضوعات الخارجية أو الداخلية، فالفرد متفائل إذا لم تقع في حياته حوادث تجعل نشوء العقد النفسية لديه أمرا ممكنا<sup>1</sup>.

فالتشاؤم يرتبط بشكل كبير بحياة الأفراد ولكن ارتباط سلبي، كما انه يرتبط بالذات ،" التشاؤم يرتبط سلبيا باحترام الذات والقدرة على حل المشكلات " <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - مركز النور للدراسات.النفائل والتشاؤم مفهومهما واسبابهما والعوامل المؤثرة فيهما.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه

إن مصطلح التشاؤم حاضر في هاته الرواية ، وهو ميزة من المميزات التي تحلى بها بطل الرواية، ومما يدل على علاقة المكان بالتشاؤم لدى بطل الرواية، يظهر من خلال الحالة السلبية للحياة، واقترانها بالوقائع التي يعيشها.

### تجلياته في الرواية :

النظرة التشاؤمية للحياة من خلال قوله " أهم ثلاث اكتشافات للبشرية .الكهرباء الكحول ، ومايا<sup>1</sup> ". وذلك بحصر كل أمور الحيات في ثلاث جوانب فقط.

النظرة التشاؤمية للعمل ، ومكان العمل ،وتتجلى من خلال نظرته للعودة للعمل ،إنها أشبه برجوع سجين مؤبد إلى سجنه طواعية بعدما هرب من صحو مبكر ، توقيع حضور وانصراف ،اجتماعات أمانة عامة ،الصحة الدورية ،الثرثرة الإجبارية مع الزملاء ...<sup>2</sup> "

و في قوله أيضا: " كنت ناوي اقضي عمري كله معاها ،عشان خاطر نور رغم أن مفيش أي ارض نتكلم عليها.<sup>3</sup> "

و قوله: "حصيلة يومين في المستشفى، حققت مع صديق عمر أصبح متهما.طاردني كلب اسود في أحلامي وخارجها، لكمت زميلا سمجا كان يستحق اللكم".<sup>4</sup>

فهنا يظهر مدى التشاؤم والملل في مكان العمل.

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق،الطبعة الأولى 2012، ص :08.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص :19.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص :128.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص :129.

2. المكان وعلاقته بالخوف :

- الخوف:

إن مفهوم الخوف هو الحالة النفسية التي تنتاب الذات وتؤثر عليها وعلى سلوكياتها، فقد ورد التعريف به في موسوعة علم النفس على أنه :

"انفعال ينطلق بواسطة إثارة يمكن ان تسبب خطر للجسم، فهو يظهر عند الحيوان، وعند الإنسان بواسطة ردود أفعال يمكن ملاحظتها وتتنوع حسب الأجناس، وحسب

حدة الانفعال.( انتصاب الشعر، خفض الرموش، الحواجب، الارتعاش<sup>1</sup> ". أما سيكولوجية الخائف فنقصد بها :

"مايقع من تغيرات بدائية جسم الخائف، تغيرات خاصة بالقلب والدورة الدموية، فالقلب يدق بشدة وبسرعة هائلة " <sup>2</sup>.

تجلياته في الرواية :

إن مصطلح الخوف يظهر عند بطل الرواية في الخوف من السكون الذي يولده المستشفى مما يبث الرعب في القلب .

بالإضافة إلى قوله: " المفروض أعيش وأواجه أنى كنت السبب في موتها وموت ابنتي"<sup>3</sup>.

وهذا في حد ذاته خوف من الحقيقة.

<sup>1</sup>- رولان دورون ،موسوعة علم النفس ،تر.فؤاد شاهين مج 2 ،ط 1،بيروت،لبنان،ص:814 .

<sup>2</sup>- محمد حاسم محمد ،علم النفس الاكليني ،ط 1 ،دار الثقافة ،عمان ،2014، ص : 285.

<sup>3</sup>-أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق،الطبعة الأولى 2012، ص :128.

الخوف من غرفة البيت وكيفية تغييرها بعد تناول حبة الفيل الأزرق ويظهر من خلال قوله: " حين بدأت الغرفة تتسع ،قبل أن يبدأ كل شيء حولي ينبض بانتظام، يتنفس انقباضا وانبساطا في إيقاع ثابت كأني في قاع البحر، الأثاث يبتعد ببطء نحو الحائط"<sup>1</sup>، كل ركن في البيت تغير بمفعول الحبة تغيرا جذريا مما أدى إلى الشعور بنوع من الخوف، يقول الراوي: "اخيرا عثرت على التلفون في ارض الحمام ، أنا جاي لك دلوقت، تيجي ليه .. أنا معاك في الشقة

انقطع الخط وركضت ضربات قلبي، كما شل عقلي عن التفكير، التفتت حول نفسي كضرب فقد عصاه، اللعين يلاعبني ، تعرقت في لحظة فرجعت بظهري للحائط"<sup>2</sup>.

وهذا دليل على مدى الخوف الذي تملكه بطل الرواية أثناء تحاوره في التلفون مع شريف أو أيا كانت شخصية المتحدث إلا أنه زرع الخوف في نفسه بقوله أنا معاك في الشقة وهذا ما نلاحظه في قوله أيضا: " صفارة السكون في غرفة معزولة تجعل منك أصم ، هدوءه المباغت اقلقني"<sup>3</sup>.

### 3. المكان وعلاقته بالحزن :

الحزن :

لغة :

إن أي محاولة إعطاء تعريف شامل لمعنى الحزن محفوفة بالمخاطر، فلا يستطيع الدارس أن يعطي له جملة واحدة تكون تعريفا جامعاً مانعاً.

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص: 169.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 190.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص: 241.

ففي المعاجم والقواميس اللغوية نجد هاته اللفظة تدل على:

"الحُزْنُ والحَزْنُ ضد السرور .....، وحزنا أيضا فهو حزن حزين وأحزنه غيره"<sup>1</sup>

فالمعاجم العربية حددت مفهوم الحزن فقالت: "الحزن بالضم: الهم ، جمع أحزان ، وحزنه أو أحزنه جعله حزينا"<sup>2</sup>.

وعرفه ابن منظور بأنه نقيض الفرح وهو خلاف السرور<sup>3</sup>.

الحزن والحزن ضد السرور .....، وحزنا أيضا فهو حزن حزين وأحزنه غيره<sup>4</sup>.

#### اصطلاحا :

إن صعوبة إيجاد تعريف جامع مانع لمفهوم الحزن لا يمنعنا من ايراد بعض التعريفات، فقد عرفه فاضل عاقل بقوله: "هو حالة الفعالية تتصف بمشاعر غير سارة وتعبّر عن ذاتها بالتأوه والبكاء، وقلة الميل على تحريك العضلات"<sup>5</sup>.

بالإضافة إلى الشعراء الذين حاولوا أيضا إعطاء تعريفهم الخاص لمفهوم الحزن وذلك في قولهم: " نظرة بلا أهداب ، أو كاللّص في جوف السفينة ، أو كالأفعوان بلا فحيح ، أو انه يعرفه الباكون في صمت عميق "<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - محمد الرازي : مخطار الصحاح ، ط 4 ، دار الهدى للطباعة والنشر ، عين مليلة ، الجزائر ، 1990 ، ص : 94.

<sup>2</sup> - الفيروز ابادي : قاموس المحيط ، ط 1 . دار الكتب العلمية ، لبنان 1999 ، ص : 199.

<sup>3</sup> - ابن منظور : لسان العرب ، مج 13 ، ط 3 ، دار صادر ، بيروت ، ص : 111.

<sup>4</sup> - محمد الرازي : مخطار الصحاح ، ط 4 ، دار الهدى للطباعة والنشر ، عين مليلة ، الجزائر ، 1990 ، ص : 94.

<sup>5</sup> - السعيد الراوي : ظاهرة الحزن عند السياح ، رسالة ماجستير ، معهد الاداب باتنة 1986 . ص : 27.

<sup>6</sup> - عز الدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية . ط3 ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1979 ، ص : 354.

تجلياته في الرواية:

ظل الحزن عند الأدباء والروائيين إحساسا مصاحبا في أعمالهم ونتاجاتهم الأدبية ويسيطر عليها، ومن بين هؤلاء احمد مراد الذي سيطر عليه هذا المفهوم بشكل كبير وتتجلى رؤيتنا للحزن في مواقف كثيرة في الرواية نذكر منها في قوله: " مواجهة نفسي تبقيني حيا، منذ طرت من السيارة، وطار طحالي وتضرر بنكرياسي حزنا وأنا أسجل شفويا تقريرا نصف سنوي "1 .

بالإضافة إلى: " ادخر كراكيب حزن وملل شرعي وبقايا كرامة عنيدة ترفض حقيقة إني حتما كنت صاحب دور النذل في الفلم الذي مثلته مع شريف "2 .

في هذا الموقف طغى الحزن العميق مع لوم النفس للموقف الذي اتخذه مع صديقه القديم شريف.

" على بعد أمتار كانت ابنتي على الإسفلت نائمة في هدوء ،تغط في ملكوت أعلى، حذاؤها الأيسر مفقود ورأسها يستند على بركة دماء لا تتوقف عن الاتساع رغم زرقة الموت التي علت شفيتها ، فقدت الإحساس بالأمي دفعة واحدة، سليم معافى هرعت إليها زحفا ،لامست انفها وشفيتها ،لاشيء وضعت يدي على قلبها، لم يكن هناك احد ..... اتاملها ولا أكاد أتصور أنها رحلت بتلك البساطة تابعت عينيها تتقلب وسبابتها ترتعش، ماتسبنيش، خرجت يومها من قلبي، فقط تلك المرة كنت اعنيها بحق، أمسكت يدها للحظات حتى توقفت الرعشة...تلك كانت أول مرة أموت ... "3.

1 - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص :113.

2- المرجع نفسه، ص :113.

3 - المرجع نفسه، ص : 124.

وهنا نرى مدى الحزن والأسى الذي تعرض له بطل الرواية خلال الحادث الذي تعرض له بسيارته ومن خلاله فقد ابنته وزوجته وهو الحادث الذي جعله يترك الدنيا ولا يولي اي اهتمام لحياته لدرجة الاستهانة بها وعدم إعطائها أي أهمية، يقول: " تمشيت حتى البيت، عند البقعة التي تركتها مايا على الإسفلت توقفت أتأمل ولم يطل وقوفي، انهارت ركبتاي فقعدت على الرصيف أزف الصمت حتى تقيأت، اللعنة علي، وعلى كل من حولي واجبة، وعلى لمستى السحرية التي تذهب بهم للجانب الآخر<sup>1</sup>.

#### 4. المكان وعلاقته بالصراع النفسي الداخلي:

- مفهوم الصراع: هو: " قانون من قوانين الحياة الاساسية " <sup>2</sup>.

فالكائنات الحية تتصارع من اجل البقاء، " ويعبر الصراع عن وجود دافعين من

الصعب اشباعهما في وقت واحد " <sup>3</sup>.

والصراع بمعناه الشامل هو: " تعارض الفرد بين قوتين أحدهما دافعة والأخرى مانعة، وكثيرا ما يجد الإنسان نفسه انه لا يستطيع أن يشبع إحدهما، خوفا من أن يؤدي هذا الإشباع إلى الوقوف في صعوبات لا يرضى عنها المجتمع " <sup>4</sup>.

#### - الصراع الداخلي:

وهو عبارة عن: " حوار بين أنا المتكلم وأنا المستمع مصاغ بلغة داخلية " <sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص : 187.

<sup>2</sup>- مروان ابو حويج : مدخل الى علم النفس العام ، ط 1 ، دار البازوري ، الأردن ، 2012 ، ص : 220 .

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص 220.

<sup>4</sup> - حسن الدايري : سيكولوجية الابداع والشخصية ، ط 1 ، دار صفاء ، عمان ، 2008 ، ص : 132.

<sup>5</sup>- رولان دورون : موسوعة عالم علم النفس ، ص : 709.

فالمونولوج الداخلي يتم داخل الشخصية، فهي إذن تتحاور مع نفسها، ونفس أخرى وبلغة داخلية، والمونولوج الداخلي يجري داخل الشخصية، وهذا ما أكده محمد وتار في قوله: "يجري المونولوج داخل الشخصية ومجاله النفس أو باطن الشخصية، ويقوم بإدخال القارئ إلى الحياة الداخلية للشخصية، ومن دون تدخل الكاتب".<sup>1</sup>

### تجلياته في الرواية :

إن الحوار الداخلي موجود في هذه الرواية بكثرة، إلا أن تأثير المكان في الصراع واضح وجلي ويتمثل في ان شخصية البطل "يحي" دائم الحوار مع نفسه، أو ذاته بتدخل أو تأثير المكان المحيط به أو الذي هو فيه ويظهر في قوله: " دلفت المطبخ ابحت عنها حين التقطت صوت دش الحمام، مايا تغسل خطايا البشرية جمعاء، صنعت لنفسي كوب قهوى دويل واستقررت فوق منضدة المطبخ انتظر صفارة الغليان حين داهمني وجه بسمة، على بعد سنتيمترات من وجهي تصرخ: اهرب سرى في جسدي تيار كهربائي فسقطت فوق المنضدة"<sup>2</sup>، وقوله:

" لم اعد في المطبخ ..انا مستلق على كنبه الصالة، وبجانبي مايا توليني ظهرها الموشوم، متى رسمته ؟ وجه "جدي " كبير مشعر متقن الرسم، قرونه طويلة تصل حتى كتفيها، عقرب الساعة يسير بشكل جيد، عكس اتجاهه.. والكلب الأسود رابض أمامي يحرس مدخل الغرفة، وصاحبه من ورائه، صاحبه الذي زارني منذ أيام، غارقا في ظلام الغرفة لم أتبين ملامحه، فقط اعرف انه ينظر لي"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد رياض وتار : شخصية المثقف في الرواية العربية السورية ، ط 1 ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 2000 ، ص :183.

<sup>2</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص : 176.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص : 177.

بالإضافة إلى قوله: " فوق الكنبة كنت ملقى بإهمال، قاتلت لفتح عيني في ضوء الشمس المبالغ الذي غمر الشقة، رمقت ساعة يدي فوجدت عقربها يسير بشكل صحيح"<sup>1</sup>.

ويقول أيضا: « شخص آخر غير شريف الجاثم على الأرض تحت قدمي على طريقة برايل ضغطت على قائمة المكالمات وتلمست ضريرا، اخر رقم اتصل بي ، ضغطت زر " call الأخضر وانتظرت، ثوان وسمعت جرسا، نغمة اعرفها ، نغمة تيلفوني ... أخرجته من جيبتي ونظرت في شاشته ، كانت تنبض برقم مجهول . الو ، الو ...

لم اسمع سوى صوتي في سماعة التلفون والصدى الآتي من حيطان الغرفة،أغلقت الخط وأغمضت عيني للحظات محاولا الاتزان ."<sup>2</sup>

في هذا المقطع تظهر حالة يحي في حالة عدم اتزان واضطراب وحالة صراع لشخصيتين وهما لنفس الشخص من خلال قوله " لم اسمع سوى صوتي في سماعة التلفون". ويتابع قوله في: " اتكلم عاوز اعمل معاك جلسة ؟ بقالي كثير مشتغلنش ، ايدي بتقل وهنسى الشغل .... وحشني دور الدكتور النفسي... أنا مش فاضي للتهريج دا"<sup>3</sup>

إن كل هذا الحوار حصل في غرفة المستشفى التي يرقد بها شريف،وبدل هذا الحوار على أن يحي يتحدث لنفسه ولا وجود لأي شخصية تحاكيه أو تتحاور معه، وبالتالي فإن حدوث الصراع الداخلي النفسي واضح ووجلي في هذا المقطع .

<sup>1</sup> - أحمد مراد، الفيل الأزرق ، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012،ص : 177.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص : 194.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص : 195.

# خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة، أمكننا الخروج ببعض الملاحظات والنتائج الخاصة بالمكان في الرواية بشكل عام، والمكان في رواية "الفيل الأزرق" على وجه الخصوص، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

- يعتبر المكان مكونا من المكونات الأساسية في الأعمال الإبداعية إلى جانب كل من الشخصيات، الأحداث، والزمن، وبذلك فإن المبدع ملزم بإيلائه الأهمية اللازمة، حتى يتمكن من الوصول بالقارئ إلى المقصود .

- تختلف الأماكن في الرواية من حيث الشكل، فهناك الأماكن المفتوحة كالطريق والشارع، وهناك الأماكن المغلقة كالبيت والمستشفى والغرف.

- ظهر المكان في رواية الفيل الأزرق بمواصفات جمالية متنوعة، يجمع ما بين الوصف والصورة والدلالة، وقد أولى الراوي اهتماما مكثفا في تصوير المكان وتأثيره على الشخصيات.

- شكّل الراوي صورة استثنائية للمكان، من خلال تترجم الأحداث والاضطرابات النفسية للشخصية الروائية.

- المكان هو جوهر النص، فكلما أحسن الكاتب توظيفه في الرواية، كلما ترسخت قيمته وحددت مواقفه، فخاصية المكان تتعلق بمقدار تجربة المبدع المختلفة، والحاملة لدلالات اجتماعية ونفسية وتاريخية، فلمسة المبدع المتقنة تحقق للمكان انسجامه.

- يأخذنا أحمد مراد في رواية "الفيل الأزرق" إلى كواليس عالم غريب يجمع بين الإثارة والغموض معا إلى جانب رحلة مثيرة نستكشف فيها أعماق وأغرب خبايا النفس البشرية، وقد وفق في توظيفه للمكان في هذا العمل من خلال اعتماده على قسم "8غرب" الذي كان عبارة عن محور تسلسل أحداث الرواية .

- و في الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في دراسة رواية " الفيل الأزرق " دراسة علمية، من خلال إبراز المعالم المتضمنة فيها إضافة إلى الدلالات وفي الحقيقة لم يكن هذا

بالجهد اليسير، ونحن لا ندعي الكمال فإن الكمال لله عز وجل فقط، ونحن قدمنا كل  
الجهد لهذه الدراسة فإن وفقنا فمن الله عز وجل وإن أخفقنا فمن أنفسنا، وكفانا نحن شرف  
المحاولة .



# قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر

1- أحمد مراد، الفيل الأزرق، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012.

ثانياً: المراجع

1. ابن السائح الأخضر، جماليات المكان القسنطيني (قراءة في ذاكرة الجسد)، دراسة نقدية تحليلية، منشورات مخبر اللغة العربية وآدابها.

2. ابن منظور، لسان العرب، مج 6، دار صار، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

3. أحمد طالب، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران

4. أرسطو، فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الانجلو المصرية، د ط .

5. برنس جيرالد، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، المشروع القومي للترجمة، عدد 368، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003.

6. بسطاويسي، رمضان محمد غانم، علم الجمال عند لوكاتش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الطباعة 1991.

7. بنكراد سعيد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، عدد 29، 2001.

8. بيبير زيماء، النقد الاجتماعي، ترجمة: عايدة لطفي، دار الفكر للنشر والدراسات والتوزيع، القاهرة، ط1، 1991.

9. الجابري محمد عابد، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط9، أغسطس 2009.

10. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت ط4، 1998.
11. جمال مجناح، خطابات المكان في العشر الفلسطيني الحديث، قراءة في الأبعاد والدلالات.
12. الجوهري، الصحاح مادة(بحر).
13. جينيت جيرار، خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأردني، عمر حلي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997.
14. حسن الداھري، سيكولوجية الإبداع والشخصية، ط1، صفاء، عمان، 2008.
15. حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي.
16. حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث، عمان الأردن، ط1، 2006.
17. رحيم علي جمعة، المكان ودلالاته في الرواية العراقية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003.
18. رولان دورون، موسوعة علم النفس، تر: فؤاد شاهين، مج 2، ط1، بيروتن لبنان.
19. الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، باب النون، تر: علي بشيري، دار الفكر للطباعة والنشر، 1994.
20. زيتوني لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، ناشرون ط1، 2002.
21. زين الدين المختاري، المدخل إلى نظرية النقد النفسي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.
22. ساروت ناتالي، عصر الشك، ترجمة وتقديم: فتحي العشري، المشروع القومي للترجمة، عدد 355، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002.
23. سعيد إدوارد، الإستشراق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

24. سعيد الراوي، ظاهرة الحزن عند السياب، رسالة ماجستير، معهد الآداب، باتنة، 1986.
25. السعيد الورفي، الرواية العربية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2009.
26. سيزا قاسم، المكان ودلالاته، جماليات المكان.
27. سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة العامة للكتاب، طبعة 1984.
28. سيزا قاسم، مشكلة المكان الفني.
29. صلاح، صلاح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات، للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997.
30. عبد الله أبو هيف، جماليات المكان في النقد العربي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الأدب والعلوم الإنسانية، المجلد 21، العدد 01، 2005.
31. عبد الله محسن، الريف في الرواية العربية سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت العدد 143، نوفمبر 1989.
32. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية.
33. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ط3، دار الفكر العربي، بيروت، 1979.
34. العيد يمى، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي، دار الفرابي، بيروت ط3، 2010.
35. غاستون باشلار، جدلية الزمن، تر: خليل المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، 1992.
36. غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

37. فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية المؤسسة العربية للناشرين المتحدين،  
التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، عدد1، 1986.
38. فتيحة كحلوش، بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص الشعري، الإنتشار العربي،  
بيروت، ط1، 2008.
39. فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة علم المعرفة، المجلس الوطني  
للثقافة والفنون والآداب، عدد 164، أغسطس 1992.
40. الفيروز أبادي، قاموس المحيط، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان 1990.
41. قادة عقاق، جماليات المكان في الشعر العربي المعاصر، جدل المكان والزمان، دار  
الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط 2002.
42. لحميداني حميد، بنية النص السردي.
43. مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة، ط2، 1989.
44. مجموعة مؤلفين، جماليات المكان، تر: سيزا قاسم وآخرون، الدار البيضاء ودار  
قرطبة، لبنان ط1، 1998.
45. محمد الرازي، مختار الصحاح، ط4، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة،  
الجزائر، 1990.
46. محمد حاسم محمد، علم النفس الإكليني، ط1، دار الثقافة، عمان 2014.
47. محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، ط1، إتحاد الكتاب  
العرب، دمشق، سوريا، 2000.
48. محمد علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة ومباحثها، دار المعرفة الإسكندرية، مصر
49. محمد غرام، شعرية الخطاب السردي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق،  
سوريا، 2005 .
50. مركز النور للدراسات، التفاؤل والتشاؤم مفهوما وأسبابهما والعوامل المؤثرة فيهما.

51. مروان أبو حويج، مدخل إلى علم النفس المعاصر، ط1، دار البازوري، الأردن، 2012.
52. معاش حياة، الثورة والإستقلال في الرواية العربية، أشعة السبعة لإبن هدوقة "نموذجاً"، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، العدد التاسع، 2013.
53. ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1986.
54. النصيري ياسين، الرواية والمكان.
55. هلال محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، أكتوبر 1997.
56. ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986.



# فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوعات
	إهداء
	إهداء
	شكر وعرهان
	مقدمة
<b>الفصل الأول: المكان وأهميته في النص الروائي</b>	
2	أولاً: المكان
2	1- مفهومه
2	1- المكان لغة
3	2- المكان اصطلاحاً
7	2- أهمية المكان
12	3- دلالات المكان
14	3-1- الدلالات النفسية
16	3-2- الدلالات الإجماعية
17	3-3- الدلالات التاريخية
19	ثانياً: المكان في النص الروائي
20	1- علاقة المكان بالشخصيات
28	2- علاقة المكان بالحدث

31	3- علاقة المكان بالزمان
الفصل الثاني: جماليات المكان في رواية الفيل الأزرق	
38	أولاً: الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة
40	1- المكان الروائي أنواعه ودلالاته في الرواية
40	1-1- الأماكن المغلقة (الداخلية)
49	1-2- الأماكن المفتوحة (الخارجية)
56	ثانياً: البعد النفسي للمكان في رواية الفيل الأزرق
56	تمهيد
56	1. المكان وعلاقته بالتشاؤم
58	2. المكان وعلاقته بالخوف
59	3. المكان وعلاقته بالحزن
62	4. المكان وعلاقته بالصراع النفسي الداخلي
66	خاتمة
69	قائمة المصادر والمراجع
75	فهرس الموضوعات
	ملخص

### ملخص:

لكل رواية مكان لا يمكن الاستغناء عنه، لأنه يشكل سلسلة من الأحداث تحركها شخصيات في زمن معين، فهو ذروة العمل الروائي.

يكتسب المكان أهمية كبيرة في النص الروائي فلا يتحقق إلى بوجوده، ويقوم المكان بعدة وظائف أهمها: تكوين إطار الحدث، وتحريك خيال القارئ لتصوير الأمكنة، انطلاقاً من ذلك سنقوم بدراسة دلالة المكان في رواية الفيل الأزرق الصادرة عن دار الشروق، القاهرة 2012، متناولين ما يلي:

الفصل الأول النظري وفيه مفاهيم متعلقة بالمكان من حيث المفهوم والأهمية والدلالات، أما الفصل الثاني التطبيقي فهو دراسة الأماكن المفتوحة والمغلقة بالإضافة إلى تأثير المكان في البعد النفسي.

الكلمات المفتاحية: مكان-رواية- دلالة

### Résumé :

Every novel has an indispensable place, because it is a series of events driven by characters at a certain time, the climax of novel work.

The place has a great importance in the narrative text It does not materialize in its presence , and it has several functions the most important is: To configure the event window, And moving the imagination of the reader To photograph places, Based on this, we will study the significance of the place in the novel Blue Elephant issued by Dar al-Shorouk, Cairo 2012 , Reach the following :

Chapter I Theoretical and concepts related to the place in terms of concept and importance and indications, The second chapter is the application of the study of open and closed places in addition to the impact of place in the psychological dimension.

**Keywords:** Place - Novel - Significance